الطبقات الصغرى

للإمام أبي المواهب عبد الوهاب الشعراني

تحقيق

عبد القادر أحمد عطا

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

مكتبة القاهرة

لصاحبها : علي يوسف سليمان

شارع الصنادقية بميدان الأزهر الشريف بمصر

تليفون ٩٠٥٩٠٩ - ص.ب : ٩٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

ابو المواهب الشعرانى

تمهيــد :

مما لا شـك فيه أن قيـام خلاف فكرى حول تقييم شخصية ما ، يعطينا حقيقة هامة جـدا هى : أن هـذه الشخصية التى اختلف العلماء فى فهمها شخصية عظيمة دون مراء .

وفى اغوار العظمة السحيقة لهذه الشخصية دروبها المتعددة الأنحاء تتجـه تيارات الفكر باحثـة عن غاية تقف عندهـا ، ثم تستجمع ما عن لها من ملاحظـات على الطريق ، لتدلى برأى قاطع حول تلك الشخصية الفـذة .

وقـد تجتمع الآراء على شىء واحـد لا تراه معلنا واضحا ، ثم تفترق فى تقـدير القيمة الحقيقية لهـذه الشخصية حسـبما بدت لتلك العقول الفاحصـة .

أما ما يمكن فهمه من الخـلاف حول تفسـير حقيقة شخصية الرجل العظيم فهو انه شخصية افسح واعمق من ان تسـبرها العقول منفردة . واما ما تطالعنا به التقارير النهائية عن هـذه الشخصية فهو الخلاف حولها من الولايـة الى الزنـدقة ، من الكفـر الى الايمـان ، من القمـة الى الحضـيض .

وهكذا نستعرض التراث الرفيع من شخصيات الاسـلام فلا نجده يشـذ عن هـذه القاعدة ، الا فى تفاصيل الخلاف .

فالحارث بن أسـد المحاسبى ، والحكيم الترمـذى ، وابو طالب المكى ، والسـهروردى ، وابن عربى الشـيخ الأكبر ، والشـعرانى ، واضرابهم .. كلهم تردد العقل البشرى فى تقرير حقائقهم بين الصلاح والفسـاد ، أو بين الولاية والزندقة ، أو بين البنـاء والهدم ، اذا حسنت النية واستقامت عقلية البحث على منهج قويم من مناهج الفكر الرائد المحب للحقيقـة .

اما الفكــر الحاقد الحاسـد فانه يجمع على التجريح وعلى هــدم القيم الانسانية مهما بلغت من مراتب الســمو والجهــد العنيف فى ســبيل البنــاء والتعمير ٠

ولم يكن نصيب الامام الشــعرانى بأقل من انصــباء اخوانه السابقين، ولن يكون اقل من انصباء اللاحقين ٠ فقد تركزت حملات الحاقدين عليه فوق رمية بالعظائم فى الدس فى كتبه بما يؤيد الفكرة التى يهدف اليها الحقــد المدمر الذى لا يدع قمة الا اهدرها دون وعى ٠ ولكن الحق يعلو دائما ، والباطل يفضح نفسه بنفسه مهما آزرته الحجة التى تتداعى من تلقاء نفسها مع قليل من الفحص والتدبير ٠

الشعــرانى والتصوف الواعى :

لم يكن الامام الشــعرانى الا صوفيا على قــدر عظيم من الوعى والحركة والعمل الدائب لانقاذ مجتمعه مما حاق به من آلام وبلاء جره عليه نوع من حكم الدم الغريب الأهوج ، اذ اصطلى الشعب المصرى بنار الصراع الذى انتهى بقتل السلطان الغورى ودخول السلطان سليم الأول الى مصر ، وكان هناك فى مصر ثلاث :

اولها العلماء : وكان جل هــذه الطبقة مسالمــا للحاكم الدخيل ، طامعــا فى عطائه ونواله ، بائعا ضميره ومهدرا كرامة بنى وطنه فى سبيل مطامعه الشخصية ، وقــد عرض الامام الشعرانى لكثير من هؤلاء بالتشهير فى معركتهم مع الامام جلال السيوطى وغيره من العلماء المخلصين من اهــل الحــق ٠

وثانية الطبقات : الفلاحون ، وهؤلاء هم الكادحون الذين صورهم الامام الشعرانى فى كتابه « البحر المورود » بأنهم كانوا يعملون طول العام ، ثم لا يكتفى الحاكم الغريب بأن يستولى على محصولهم من الزرع حتى يستولى على الجاموســة والبقــرة ٠

وثالثة الطبقات هى طبقة الصوفية : وهى تمثل وزارة الارشــاد

فى عصرنا الحاضر ، على مستوى اكثر التصاقا بالشعب ، واشـد تلاحما معـه فى ازقته وحواريه ودروبه ومجتمعاته ٠

ومع تلاحم الصوفية بالأوسـاط الشعبية فانهم كانوا على صلة وثيقة بالعلماء جميعا ٠٠ بالمخلصين منهم لتنظيم خطط الاصلاح ومقاومة الحكام الدخلاء ، وبالمضللين منهم بالجرح والفضح والتشـهير وكشف الخداع ٠

ولم يكن نقدهم للعلماء بأهون من نقدهم للصوفية الزائفين انفسهم ، بل ان الضلال هو الضلال ، سـواء اكان فى عالم رسـمى دعى ، أو فى عين من اعيـان القاهرة او غيرهـا من البلاد ، أو متصوف دخيل ٠

وكان الشـعرانى ابرز الشخصيات التى تصـدت لحركة الاصلاح هـذه فى اوساطها جميعا ، ولا سيما فى بيئة العلماء وبيئة الصوفية ، اذا اصبح الفلاحون وارباب الصنائع فرائس للأدعيـاء من هؤلاء ومن رجال الحكم الغرباء عن البـلاد ٠

ولقد الف الامام الشعرانى رسالة(١) فى هـذا المعنى اودع فيها رايه الصريح بما يدمغ اولئك الذين دسـوا على كتبه ما يشـوه مقاصده القويمة السامية ٠ قال رضى الله عنه وأرضـاه :

« صار كل من اذن له شـيخه القاصر بأن يستفتح الذكر بجماعة ، أو اذن له بأن يلقن الناس ، أو لم يأذن له ، أو سمع فى خلوته هاتفا من جنى أو شيطان ، يظن انه ولى الله ، فيجمع له جماعة من العوام من اهل الصنائع وغيرهم ٠ فتارة يجلس فى بلده ، وتارة يطوف البلاد ، ويكلف العباد فى هـذه الأيام الكـدرة النكـدة على الخاص والعـام ، وهو مع هـذا يدعى انه قائم فى الخلق مقام نبيهم ﷺ ، وكفى بذلك جهلا وسـوء ادب ٠٠ اين المقام من المقـام ، وأين الملائكة من الشياطين »٠

---

(١) الرسـالة مخطوطة تحت رقم ٧٧٧ تصوف بدار الكتب المصرية الجزء الأول من الفهرس ٠

ولعل هـذه المشـاعر النبيلة نحو الشـعب هى التى دفعت الامام الشعرانى الى تجربة اصلاحية كان مركزها زاويته التى يحتلها مسجده الآن ، حيث جمع فيها عـددا هائلا من طلبة العلم ورواد الطريق ، واقام بينهم نوعا من الحياة التعاونية ، وأجرى عليهم ما فتح الله به عليه من صالحى الأغنياء كما كانت تجرى الأرزاق على طلبة الأزهر ، ولكن بروح الصفاء والحب لا بروح الصراع والقتال ، ولعل هـذه المشـاعر أيضا هى التى دفعته الى التفوق على الأزهر فى رعايته طلابه اذ شـمل برنامجه الاصلاحى تزويج الطلاب وتجهيزهم بكل ما يحتاج اليـه الأزواج حتى الاقامة كانت مكفولة للطلاب وزوجاتهم فى قسـم خاص من حجـرات الزاويـة .

ولا شـك فى أن هـذا الاتجاه هـو الذى أثار علماء الأزهر على الشعرانى حتى هموا بقتله ولم ينالوا منه شيئا .

ويوازن الامام الشعرانى بين دافع الضريبة للمماليك أو للعثمانيين وبين المستغلين من ادعياء الصوفية فيقول :

« ولو كان من يدعى المشيخة من هؤلاء القاصرين يزن الخراج خمسة أضعافه ويتكلف مثل ذلك على الكشاف والقضاة ومشايخ العرب وقطاع الطريق ، ثم بعد ذلك كله يعاف قمحه ، وزرعه ، ولا يجـد له شـيئا يأكله هو وعياله ، وما ثم له ملجأ يلجأ اليـه سكت ولم يتكلم ، ولم يصر له قلب يتكلم به ، لا بحقيقة ولا بشريعة ، لكنه غره تهيئة الناس له ما يأكل وما يشرب هو وجماعته على السـالم من غير غرامة ، فكثر كلامه وصار يقول للخلق : لابد لكل انسـان يريد الطريق الى الله من أسـتاذ عارف بالله تعالى . فكيف وهو جاهل بالله ، ومن هو جاهل كيف يدعو الناس الى من لا يعرفه » ؟

ولئن كانت فكرة اتخاذ الشيخ ، وفكرة عدم تعدد الأشياخ لمريد واحد من أصول السلوك الصوفى المقرر منذ قديم ، الا أن هـذه الفكرة

عند مفكر متحرك واع كالشعرانى كانت قابلة للتديل والتطوير ٠

فهو يقول : « ان البلاء قـد عم الحاضرة والبادية ، وصار سلوك الخلق بما هم فيه من البلاء على اختلاف طوائفهم ، فان فائدة السلوك تهذيب النفس وتمهيدها ، حتى تذل ٠

وتأمل الخلق تجد كل احـد نفسه مكسورة بحرفته ، لا سيما الفلاحين والتراسين والطحانين وغيرهم من سـائر الحرف الشـاقة ٠ فتجد الفاعل منهم فى آخر النهار تهدلت اغضاؤه ، وضعفت قوته الى الطرف الأقصى ، فأى شيخ من مشايخ هـذا الزمان يقدر أن يوصل شخصا الى هـذا الحد فى يوم بكلامه الذى يتكلمه » ٠

وكانه يقول : ان البـلاء فى ذاته شـيخ مرشـد كامل الارشـاد ، قويم المنهج ، لأنه يصـل بالنفس الى ما يصـل بها الأسـتاذ اليـه من الحـد من كبريائها وغلوائها والاعتزاز بقوتها ، وتوجهها نـحـو الراحات والرعـونات ٠

والامام الشعرانى منفسخ الفكر لا يجمد عند حدود النقد الموضعى ، بل يتناول جوانب فكرته باحثـا عن القيمة الحقيقية التى لا تتركز فى الفهم الخاطىء للعبادة ، حيث يقصرهـا بعض القاصرين على نوع من التفرغ الكسـول الذى يهدر شـطرا هائلا من النشـاط البشرى فيقول :

« ولعمرى ان الفلاحين وارباب الصنائع احسن حـالا واقرب الى الله من هؤلاء المدعين لأنهم طول عمرهم فى اعمال شاقة فى نفع الخلق، وهؤلاء المدعون طول عمرهم سـاعون فى ضرر الخلق ، لأنهم يطلبون التميز عن الخلق ، والتمهيد لطريقهم التى يطلبون » ٠

ثم يدق فى تنقيبه عن مظاهر الداء الذى استحكم فى قلوب المنحرفين من ادعياء التصوف ، وكيف أنهم برعوا فى التنقيب عن حطام الدنيا ، وفى اسـتنزافه من الجيوب فيقول :

« صار كل مدع ينصب له نقباء كذابين يقولون ان شيخنا هو صاحب

العصر ، وكل ذلك مصيدة للدنيا ، وتأمل مدحهم لشيخهم انما يكون دائما عند الأمراء والأكابر ومشايخ البلاد ونحوهم ممن يتوهمون حولهم البر ، فما ترى احـدا يمدح شـيخه عند صنائعى او فقير او فلاح صعلوك ، لعلمه انه ليس عنده شيء يأخذونه » .

ثم يتابع الامام الشعرانى فى اصراره الواعى هـدم هـذه الأصنام الكاذبة فقد استرعى نظره اصرار الكذبة من ادعيـاء المشيخة على الرفيع من السجاد فى صلاتهم ، فتناول هـذه الظاهرة بالنقد اذ يقول :

« كيف تطلب أن تكون من المؤمنين وانت طالب لأوصاف المتكبرين من الصلاة على السـجادة الرفيعة ، وربما دخلت المسـجد فسمعت الأذان ورأيت وقوف الناس للصلاة ثم سمعت هذا الكاذب ينادى : أين السجادة ؟

ولعمرى هل رأيت عبدا آبقـا طال عليه الهجران من سيده والغضب عليـه ثم يدعى للوقوف بين يديـه ، هل يشـتغل حينئذ بفرش سجادة »؟

ولا يكتفى الامام الشعرانى بالنقد وهـدم الأكاذيب والضلالات ، بل انه رسم الطريق الحق للمعارف الصوفية المجدية للفرد والجماعة فقال :

« انفع ما يشتغل العبد به من علوم الصوفية ما كان متعلقا بالأدب مع الله ومع خلقه ، وما عـدا ذلك فهو اشتغال بما لا يعنى » .

ولقد كرر الامام الشعرانى هـذا المعنى فى كتابه « آداب العبودية » وغيره من الكتب ، حتى لقد جعل هـذا الأدب مع الله تعـالى ومع خلقه هو مناط الثواب والعقاب وهـو محرر السـؤال فى القبر ، اما غيره من العلوم فلا ينبغى العلم بها الا بقدر ما يخدم هـذا الأدب الذى يشمل علم الفرائض والواجبات والسنن ، وعلم النفس المستقيمة فى ادائها ، وعلم القلب فى تصحيح العقيدة .

والذى دفع الامام الشعرانى الى التركيز على هـذه الفكرة أمران شاعا فى عصره حتى بلغا درجة من انحلال الفكر وانهيار المثل العليـا المشروعة فى الاسـلام وسلوكه .

أما أول الأمرين فهو اتجاه علماء المنقول نحو التعمق فى علوم النحو والصرف والبلاغة وغيرها من الآلات ـ وليس الغايات ـ حتى شرحوا المتون ووضعوا عليها الحواشى ، ثم التقارير ، ثم التقارير على التقارير ، وحتى تحول البحث فى النحو والبلاغة وغيرهما الى لون من التدريب العقلى على قضايا المنطق وحيثياتها ، فخرج بذلك عن اتقان الآلة ، وعم الجدوى العقلية والروحية فى السلوك جميعا ، ومن هنا افتتح الامام الشعرانى جبهة كفاح ضد الكثير من علماء النقل حينما قال :

« لن يسألك الله يا أخى عن النحو والصرف والبلاغة ، ولن تحتاج الى هـذه العلوم الا بقدر ما تصحح فهمك للكتاب والسنة ٠ أما سـؤال الله لك فعن أشـياء أخرى غير هـذه » ٠

وثانى الأمرين انحراف الفكر الصوفى فى عصره وقبل عصره الى الكاشفات والمشاهدات واعتبارها أصل الفكر الصوفى ، واغفال قيمتها من حيث هى مقاييس لصحة السلوك أو لفسـاده ، وشاع هـذا اللون من الحديث عن الكاشفات حتى سامها كل مفلس ، وتصدى لها كل أفاق ، وانحرف مفهوم الولاية عند هؤلاء الأفاقين حتى التمسوه فى الوان من المرتزقة بما يشبه علوم الأسرار وهو فى الواقع خروج عن نطاق الشريعة جملة واحدة ٠ حتى لقد تجرأوا على دس ألوان من هؤلاء المنحرفين فى طبقاته الكبرى ليتخذوا من اسمه دليلا على صدق تلك الدعاوى المضللة ٠

استمع اليـه يقول : « يجوع أحدهم جوعا مفرطا حتى ينحرف مزاجه فينظر شموسا ونجوما من شـدة الجوع ، فيظن أن ذلك من علامات الطريق» وما أمر الخلق الا بتعلم الآداب المتعلقة بمعاملة الله ومعاملة خلقه ، لا بأن ينظروا شموسـا وجبالا وأودية وأقمارا متوهمة ٠

ولعمرى اذا فرضـنا أن أحدهم رأى من منتهى العرش الى منتهى النجوم وأحاط علما بجميع ذلك ، وهل ذلك يقرب الى الله تعـالى ، وهل يستحق على ذلك جزاء من الجنة أو غيرها ؟

ثم يهـدم مذهب هؤلاء الأدعياء من أساسـه اذ يقول : « فمثل من يعمل نفسـه شـيخا فى هـذا الزمان مثال فقيه فتح المكتب قبل الغروب وقعـد ينتظـر الأطفـال لقـرئهم ويعلمهم وكل الأطفـال انصرفوا من العصر » ٠

ولا يغفل الشعرانى مناقشة هؤلاء كجزء من القضـية التى اثارهـا ضدهم ليفضح اكاذيبهم فيقول :

« نقول لأحدهم : من شرط من يلقن الذكر أن يكون وليا ، فهل أنت ولى ؟ فان قال : لا ، قلنا : لا يجوز لك أن تتصدر للمشيخة ٠ وان قال: انا ولى ، سألناه عن علوم الأوليـاء التى يتداولونها فيما بينهم فيما لم يسطر فى كتاب ولا طرق سمعه علم منها وهى كثيرة ذكرناها فى كتابنا المسمى « تنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء » ٠

ويقول فى مناقشـة أخرى لهؤلاء الأدعياء : « علامة الجهل بطريق الله البروز للدعوة من غير داع الهى يدعوه الى ذلك ٠ ويقال لهـذا المحجوب المدعى ذلك : أمرت بالبروز للدعوة على من هو مثلك أو دونك او اعلا منك ؟ فان قال : على من هـو دونى ٠ قلنا : لا تصلح لشىء من هـذا ، لأن من ذاق طعم الطريق لا يتصـور أن يرى الخلق دونه ، والذى لم يذق كيف يربى ويسـلك ٠

وان قال : على من هو مثلى أو أعلا ٠ قلنا : هـذا لا يصـدر من عاقل ، لأنهما لا يحتاجان اليك ٠

وبهـذا الوعى هـز الامام الشـعرانى أولئك المتعاقدين المتواكلين الخاطىء الفهم هـزا عنيفا اذا يقرر أن التصوف عمل ويـد عليـا ، وليس فى التصـوف تواكل ولا اعتمـاد على الغير فى شـئون الرزق ٠ فيقـول :

« لا يصلح أن يسمى شـيخا الا الفلاحون وأهل الصـنائع ، لأنهم

لأنهم هم الذين يطعمون الشيخ فالشيخ مكتوب عند الله من جملة عيالهم » .

الدس فى كتب الشعرانى :

وبمثل هذا الوعى الرفيع تناول الشعرانى قضايا عصره واندمج فى صفوف الشعب يلتمس آلامه ، ويكشف عن أمراضه الاجتماعية ، وينقد ويرسم الطريق للاصلاح ، حتى كان هدفا لسهام طائشة من العلماء وأدعياء التصوف كان أخطرها الدس فى كتبه ولا سيما فى طبقاته الكبرى .

وقد اعتمد الدساسون على استغلال رسيىء لأصلين هامين من أصول التربية الصوفية هما : كراهة الجدل والاعتراض بين المريدين والشيوخ ، ونظرية الأحوال .

أما كراهية الجدل فانما هى بالنسبة للمحققين من الشيوخ المشهود لهم باستقامة السلوك ووضوح الطريقة ، وهضم النفس ، والقيام على أصول الشريعة وسننها وفلاح المريدين على أيديهم ، ولا يجوز أن ينسحب هذا الحكم على أى دعى دخيل أفاق يستأ كل بدينه وبالمثل العليا المشروعة . والا فقد ناقش الشعرانى نفسه هؤلاء الأدعياء ، وقطع حجتهم على الصورة التى عرضناها آنفا .

وأما نظرية الأحوال ، فما الأحوال الا مشاعر معينة تنشأ فى باطن الانسان من نتائج العلم أو العلم أو من نتائجهما معا . وتكون اما قبضا ، واما بسطا واما خوفا ، واما اصطلاما ، واما سحقا أو محقا ، أو غير ذلك من الأحوال المقررة والبينة الأمارات والعلامات فى مراجع السلوك .

أما الحال الذى لا يكون نتيجة علم أو عمل فانه محض افتراء ودجل كاذب . على أن هذه الأحوال لا يمكن أن تخرج أصحابها عن قانون الشريعة ، لأنها فى الله ومن الله ، ولا يمكن أن يدفع الله طلابه الى

هـدم شريعته ، حتى يتخذ اعداؤه من سلوكهم هـذا حجة على صحة التحليل من الشريعة احيانا واحيانا على الصـورة التى رسمها هؤلاء الدساسون فى الطبقات الكبرى ٠

ومن الدساسـون فى الطبقات نماذج من اكابر العارفين مجهولين لأهل العلم بالطبقات ، ونسبوا لأحدهم انه كان يقف على قارعة الطريق حتى اذا قدم احـد مشـايخ البلاد او التجار راكبـا على ظهر حمارته اعترضه الشيخ وراوده على اتيان الفاحشـة فى الأتان ، فاذا وافق على المبدأ سـمح له الشيخ بعد انهاء مهمته بالسير ومواصلة السفر ، واذا ابى تسمرت اتانه بالأرض فلا تستطيع حراكا ٠

ومن عجيب السبك أن الدساسـين نسبوا الى الامام الشعرانى انه سأل شيخ الاسـلام زكريا الأنصارى وسيدى محمد بن عنان وغيرهما من كبار العلماء والأوليـاء عن هـذه الظاهرة فقالوا : ان هؤلاء المشايخ يخيلون للناس هـذه الأعمال وليست لها حقيقة ٠

فلا عقلية الشعرانى ، ولا عقلية شيخ الاسـلام الأنصارى تسيغ مثل هـذا التعليل السـاقط ، ولا عقليات القراء من أى نوع كانوا تسيغ أن تكـون شريعة سماوية فيها هـذه البهلوانية الفارغة ، وهـذه الألاعيب السحرية التافهة ، والا فالكل سينخلع من احكام الشريعة فى لمحة عين بحجة التخييل وأمور السيمياء ٠

فالشـعرانى يكتب فى مقدمة طبقـاته الكبرى : أنه لم يذكر فيهـا الا ما ينهض همة المريد الى الله ، فلا يعقل اطلاقا أن يعرض علينا هـذه النماذج باعتبارها حافزا للهمة نحـو الله ٠ ثم يكتب رسـالته المخطوطة التى عرضنا نماذج منها ليهدم بها ضلال المضلين فى أمور هى اقل من اتيان الفاحشـة مع الحمير ٠

ونموذج آخـر كان يلوط بالعبيد ، وآخر ذهب الى بيت يطلب يـد كريمة منه للزواج بها ، فكشف عن عورته أمامها وامام الحضور ، وامرها

بتفتيشها حتى لا تعود عليه باللائمة بعد ذلك قوة أو عجزا ٠ ونماذج غير هــذه كثيرة فى منتصف الطبقات ٠

ونعود فنقول : ان سلوك الامام الشــعرانى وكتبه ودعوته كلها تنآى عن هــذه الانحلالات الهادمة ، وتبرأ منها وممن دســها عليه ، ثم انه لم يغفل التنبيه فى غير موضع من كتبه على أمر هؤلاء الدساسين ، وفى كتاب الطبقات الصغرى هــذا نبه على شأنهم فى غير موضع أيضا ٠

ومن عجيب الأمر أن تبقى تلك المدسوســات فى كتب الشعرانى الى الآن ، ويجبن الناشرون والمحققون عن حذفها حتى تعود الى الطبقات قيمتها العلمية النــادرة ٠

الطبقـات الصـغرى

هى امتداد للطبقات الكبرى حتى يصـل تاريخ الرجال الى عام ١٠٠٣ من الهجرة ٠ وهى تنقسم الى :

١ ـ تاريخ من لقيهم وقرأ عليهم أو أخـذ عليهم شـيئا من الطريق ٠

٢ ـ من لقيهم ولم يقرأ عليهم ولم يأخذ عليهم شـيئا من الطريق من أهل المذاهب الأربعـة ٠

٣ ـ جملة من الأحياء المعاصر له مات بعضهم بعد تدوين سـيرته فاثبت تاريخ وفاته فى نسخته ٠

وقال : انه لم يسبق الى تدوين سـيرة الأحياء ، وانه عرض سيرتهم والله اعلم بما ينتهى اليـه حالهم ، ولكنه تحرى من صدق السيرة ، وصحة القصد ، واستقامة الطريق فيهم ما ينبىء بحسن الخاتمة ان شـاء الله ٠

وقال : انه حـذف بعض التراجم ، لأن أصحابها لم يكونوا علموا بتدوين سيرهم ، ثم لاموه على اهمالهم ، فلما علم تشـوف نفوسهم الى الظهور حذفهم ، لأنهم لا يستحقون عرض سـيرهم كنماذج يجتـذى على منوالها السـالك ، ما دامت نفوسهم حيـة تتطلع الى كاذب الشـهرة على هـذا الوجه ٠

ومن هنا لا يعقل مطلقا ان ينشر من السـير لأولئك الذين يلوطون بالعبيد ويأتون الفواحش من الحمير بأى حال ٠

اهمية الكتـاب :

ترجع أهمية هـذا الكتاب الى أمور نجملها فيما يلى :

١ ـ يؤرخ للحياة الاجتماعية فى عصر المماليك والعثمانيين ولا سيما فى مصر ويكشف عن كثير من المظالم التى وقعت على الشعب فى ذلك العصر ، كما يوقفنا على الحيـاة الداخلية لكثير من طبقات الشعب ٠

٢ ـ يوقفنـا على نماذج راقيـة من عفـة العلماء عن الشبهات حيث رفضوا أن يعيشـوا من معاليم القضـاء أو الامامة أو غيرهما من وظائف الدولة آنذاك لعـدم ثقتهم بحـل الأموال المغتصبة من أيـدى الكـادحين ٠

٣ – يصور لونا من الصراع بين العلماء والولاة ، وأهمة ما جرى بين جلال الدين السيوطى وأحد القضـاة اللاصقين برجال الحكم ٠

٤ – يصور الحركة العلمية فى عصره ، وحرية الدرس والتلقى ، واحتسـاب العلماء لتعليم الطـلاب فى سـبيل الله ، وانفـق بعضهم على طـلابه ٠

٥ – بصـور اهمال الحكم للمخلصين من العلماء حتى أن بعضهم كان يختصر ويشـكو من أن أحدا لم يكلف نفسـه بجرد السؤال عنه ٠

٦ – والكتـاب مع ذلك صورة لحيـاة الشعرانى نفسـه ، اذا كان متتبعـا للحركة العلمية فى عصره ، باحثـا عن العلماء يصحبهم ويأخذ عنهم ويقرأ عليهم ، ولا يدع فرصـة تفلت من يـده مهما كلفه ذلك من مشقة فى سـبيل الأخذ عن كبـار العلماء ، ولا سـيما شـيخ الاسـلام زكريا الأنصـارى وغيره ٠

٧ – تاريخ لا يوجد فى كتـاب لحياة علماء الأزهر فى عصره ، وما كانوا عليه من تقشف وزهـد فى الحيـاة ومظاهرها ٠ كما يوقفنا على كثير من مجتمعات العلم غير الأزهر فى ذلك العصر ٠

٨ – الكتـاب يفسر كثيرا من الظواهر الصوفيـة تفسـيرا يتمشى مع العقل وأهمها رؤية النبى ﷺ ويقظـة والأخذ عنه ، اذ قال : انهـا رؤية ليست كرؤية أحدنا الآخـر ، وإنما هى رؤية مثالية نورية فى عالم الفهوانية الذى يشبه حالة ما بين النوم واليقظة ، ولا شىء غير ذلك ٠

٩ – وأخيرا فالكتاب جزء من تاريخ مصر والعالم الاسـلامى فى فترة من الزمان توالت فيه قطائع العثمانيين والمماليك ، ووقف المنافقون الى جوارهم وكـافح المخلصـون بروح الايمـان التى لا تلين حتى انتصروا على عـدوهم ٠

رحم الله الامام الشعرانى ، وهيـأ أسلوب نشر تراثه الذى لا زال حبيسـا فى خزائن المخطوطات ، ونفع المسلمين بكتابه هـذا الذى ينشر لأول مرة ، وجعله خالصـا لوجهه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وتابعيه الى يوم الدين ٠

القاهرة فى ربيع الأول ١٣٩٠ هـ (مايو ١٩٧٠ م) ٠

عبد القادر أحمد عطـا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . وبعد : فهذه طائفة من شيوخ عصرنا ممن لقيناهم ، وقرانا عليهم شيئا من العلم او اخذنا عليهم او اخذوا علينا الطريق ممن لم نذكرهم فى لواقح الأنوار القدسية فى طبقات العلماء والصوفية . وجعلناها فصولا ثلاثة . الأول هو هذا . والثانى فيمن لقيناهم ولم نقرأ عليهم ، والثالث فيمن لقيناهم ولا زالوا احياء والله الموفق .

الفصل الأول

منهم :

شيخنا وقدوتنا الى الله تعالى
الشيخ جلال الدين السيوطى
رحمه الله تعالى

كان رضى الله تعالى عنه يقول : قد اشاع الناس عنى انى ادعيت الاجتهاد المطلق كأحد الأئمة الأربعة وذلك باطل عنى ، انما مرادى بذلك : المجتهد المنتسب . فان الاجتهاد نوعين .

احدهما : المجتهد المطلق المستقل ، وهذا النوع قد فقد منذ القرن الرابع [الهجرى] ، ولا يتصور وجوده الآن . ولم يدعه احد بعد الامام الشافعى الا ابن حجر خاصة .

النوع الثانى : المجتهد المنتسب المطلق . وهذا هو المستمر الآن [و] الى ان تقوم الساعة ، وفى اصحاب الامام الشافعى من هذا النوع كثير : ابن المزنى ، وابن سريج ، والقفال ، وابن خزيمة ، وابن الصباغ، وامام الحرمين ، ابن عبد السلام ، وتلميذه ابن دقيق العيد ، والشيخ تقى الدين السبكى ، وولده عبد الوهاب ، فانه كتب مرة لنائب الشام : انا مجتهد الدنيا على الاطلاق ، [و] لا يقدر احد (ان) يرد على هذه الكلمة ، وكل هؤلاء مجتهدون منتسبون .

وكذلك القول فى أصحاب الامام مالك ، كابن وهب وأضرابه ، بلغوا الاجتهاد المطلق على مذهب الامام مالك . وكذا ابو يوسف ومحمد [من أصحاب الامام الأعظم] بلغا الاجتهاد المطلق .

وقال الشيخ جلال الدين رضى الله عنه : ومع ذلك فلم يخرج هؤلاء عن قول امامهم(١) ، فمن أنكر الاجتهاد مطلقا فهو جاهل .

يا أخى على ما ينقله بعضهم عنه فى بيان حكم الاجتهاد ، وقد كان الشيخ جلال الدين رحمه الله تعالى على قدم السلف الصالح من العلماء العاملين ، وكان من الصادقين(٢) ، وكان له مكاشفات غريبة ، وخوارق وعلوم جمة ، ومصنفات جيدة كثيرة الفوائد .

وارسل(٣) الى ورقة مع والدى باجازته لجميع مروياته ومؤلفاته ، ثم لما جئت الى مصر قبل موته اجتمعت به مرة واحدة ، فقرأت عليه بعض احاديث من الكتب الستة ، وشيئا من المناهج فى الفقه تبركا ثم بعد شهر سمعت ناعية ينعى موته ، فحضرت الصلاة عليه عند الشيخ احمد الأبار ، يعنى فى الروضة عقب صلاة الجمعة ، وفى سبيل أم المؤمنين عند الجامع الجديد بمصر القديمة(٤) رضى الله عنه .

وقد جمع الشيخ عبد القادر الشاذلى رضى الله عنه بعض مناقبه فى جزء ، وها انذا أذكر محض عيونه(٥) ، فاقول وبالله التوفيق .

---

(١) فى ب ، حـ : عن تبعيتهم لامامهم .
(٢) فى ب ، حـ : وكمل العارفين .
(٣) فى ب ، حـ فأرسل . وفى ب ، حـ أرسل .
(٤) فى ب ، حـ : العتيقة .
(٥) فى حـ : وها أنا ملخص لك عيونه .

كان الشيخ جلال الدين رحمه الله تعالى مجبولا على الخصال الحميدة فى العلم والعمل ، لا يتردد الى احد من الأمراء والملوك ولا الى غيرهم مدة حياته رضى الله عنه ، وكان يظهر كل ما انعم الله عليه [به] من العلوم والأخلاق ، ولا يكتم منها الا ما أمر بكتمه ، عملا بقوله تعالى : « وأما بنعمة ربك فحدث » ، وكان من لا يعرف مقصده يقول : فلان عنده دعوى عظيمة وسيأتى ما يشهد له أوائل خاتمة الكتاب ان شاء الله تعالى .

وكان رضى الله عنه يفتى بتحريم الاشتغال بعلم المنطق وكتبه ، وقام عليه جماعة ، فقال : وهذه الواقعة من أول وقائعى التى قام على الناس فيها .

وكان رضى الله عنه يقول : ينبغى للمدرس ان يقرأ : تبارك الذى بيده الملك ، وسورة الاخلاص ، والمعوذتين وفاتحة الكتاب كلما يريد أن يدرس ، وينقل فعل ذلك عن شيخ الاسلام (علم الدين)(١) صالح البلقينى رضى الله عنه .

وكان يقول : أخذت العلم عن ستمائة نفس وقد نظمتهم فى أرجوزة ، قال : وهم أربع طبقات :

الأولى : من يروى عن أصحاب الفخر بن النجار ، والشرف الدمياطى ، ووزيره ، والحجار ، وسليمان بن حمزة ، وابن أبى نصر الشيرازى ، ونحوهم .

الثانية : من يروى عن السراج البلقينى ، والحافظ بن أبى الفضل العراقى ونحوهم ، وهم(٢) دون التى قبلها فى العلو .

---

(١) ساقطة من أ .

(٢) فى ب : هى .

الثالثة : من يروى عن الشريف ابن الكويك ، والجمال الجيلى(١) ونحوهم وهم دون الثانية ٠

الرابعة : من يروى عن ابى زرعة العراقى ، وابن الجوزى ، ونحوهما ٠ وهذه لتكثير العدة ، وتيبير الحجم(٢) وصنف رحمه الله تعالى لما حج (وجاور)(٣) كراسا على نمط عنوان الشرف فى يوم واحد ، يحتوى على نحو ومعانى وبديع ، وعروض ، وتاريخ ٠ وكان رضى الله عنه يقول : لما حججت شربت ماء زمزم على نية ان اكون فى الفقه كالشيخ سراج الدين البلقينى ، وفى الحفظ فى الحديث(٤) كالحافظ بن حجر ٠

وكان يقول : انقطع املاء الحديث بالديار المصرية بعد الحافظ ابن حجر عشرين سنة ، فابتدات فى أملاء الحديث مستهل سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة فى جامع ابن طولون(٥) ٠ وأول من أملى الحديث فيه الربيع بن سليمان [الجيزى] صاحب الامام الشافعى رضى الله عنه قال : انما اخترت الاملاء يوم الجمعة بعد الصلاة اتباعا للحفاظ المتقدمين، كالخطيب البغدادى ، وابن عساكر ، بخلاف ما كان عليه العراقى وولده وابن حجر ، فانهم كانو يملون يوم الثلاثاء ٠

قال : وكانت بداية افتائى سنة احدى وسبعين وثمانمائة ، وخالفت اهل عصرى فى خمسين مسألة ، فالفت فى كل مسألة مؤلفا اثبت فيه وجه الحق(٦) ٠

---

(١) فى أ : البجلى ٠
(٢) فى ب : وتكثير الحجة ٠
(٣) ساقطة من ب ، ج ٠
(٤) فى ب ، حـ فى حفظ الحديث ٠
(٥) فى حـ : ابن طولون ٠
(٦) فى ب ، حـ بينت فيه وجه الحديث ٠

قال : ولما بلغت مرتبة الترجيح لم أخرج فى الافتاء عن ترجيح النووى ، وان كان الراجح عندى خلافه ٠

(قال)(١) ولما بلغت مرتبة الاجتهاد المطلق لم أخرج فى الافتاء عن مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه ، كما كان القفال يفتى بعد بلوغه درجة الاجتهاد المطلق بمذهب الامام الشافعى ، لا باختياره ٠

و [كان] يقول : للسائل انما سألتنى(٢) عن مذهب الامام — لا عن صحة مؤلفاته — [ولا ع] عندى أنا من العلم ٠ مع أنى لم أختر شيئا خارجا عن المذهب الا شيئا يسيرا جدا ، وبقية ما اخترته هو (من)(٣) المذهب ، اما قولا آخر للشافعى قديما أو جديدا ، أو وجها فى المذهب لبعض أصحابه ، وكل ذلك راجع الى المذهب ، وليس بخارج عنه ٠

وله من المؤلفات أربعمائة وستون مؤلفا مذكورة فى فهرست من عشر مجلدات الى ما دونها ٠ وانتشرت (مؤلفاته)(٤) فى البلاد الحجازية والشامية ، والحلبيية والمصرية ، وبصرى والروم ، وبلاد التكرور والمغرب والهند وغيرها ٠

وكان رضى الله عنه يقول : مما أنعم الله به على(٥) هو : أن الجماعة انتصبوا عدواتى وآذونى ٠

وذلك ليكون [لى] أسوة بالأنبياء والمرسلين ٠ وكان الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه يقول : لما أعلم الله تعالى ما سيقال فى أنبيائه وأصفيائه

---

(١) ساقطة من أ ٠

(٢) فى أ : السائل انما سألنى ٠٠

(٣) ساقطة من أ ٠

(٤) ساقطة من أ ٠

(٥) فى ب : على به ٠

من الـزور والبهتـان قضى على قـوم بالشـقاء ، فنسـبوا له زوجـة (ووالدا)(١) ، ونسبوا للأنبياء السحر والجنون(٢) ، حتى اذا ضاق ذرع الولى من كلام فيه نادته هواتف الحق : أما ترضى أن تكون لك أسوة بالأنبياء فيما نسب الى واليهم من البهتان ، فهنالك(٣) يسكن قلب الولى والحمد لله رب العالمين ٠

وكان يقول رضى الله عنه : قـد رزقنى الله تعالى التبحر فى سبعة علوم : التفسـير ، والفقه ، والحديث ، والنحو ، والمعانى ، والبيان والبديع ، على طريقة العرب والبلغاء ، وعلى طريقة المتأخرين من العجم واهل الفلسفات(٤) ودون هـذه السـبعة فى معرفة أصـوح الفقـه ، والحديث ، والتصريف ، والانشـاء ، والترسـل ، والقراءات ، والطب ، والحســاب ٠

وكان رضى الله عنـه يقول : قـد بلغت مقامات الكمال فى جميع آلات(٥) الاجتهاد المطلق المتسبب ، وصرت بذلك متحدثا بالنعمة ، لا فخورا بالدنيا ٠ وأى قـدر للدنيا حتى يطلب تحصيله بالفخر وقـد آذن(٦) الرحيل ، وبدا الشيب ، وذهب العمر ٠ ولو انى أردت أن اكتب فى كل مسألة مصنفا يحتوى على أدلتها ثم آدابها وتفاصيلها وفروعها لفعلت ٠ وذلك كله بفضل الله تعالى ، لا بحولى وقوتى ٠

وكان يقول : قـد استنكر جماعة بلوغى مرتبة الاجتهاد المطلق فى

---

(١) سـاقطة من ب ، حـ ٠
(٢) فى ب : ونسبوا الأنبياء الى السحر ٠
(٣) فى ب و حـ : فهناك ٠
(٤) فى ب ، حـ : الفلسـفة ٠
(٥) فى ب ، حـ فى جمعى آلات ٠
(٦) فى ب : قرب الرحيل ٠

الحديث والفقه والعربية ، لظنهم انفرادى بذلك بعد الأئمة المجتهدين . وغاب عنهم أنها كانت مجتمعة فى الشيخ تقى الدين السبكى رضى الله عنه ، وقبله جماعة اتصفوا بها وبالاجتهاد المطلق لكن فى الفقه فقط . وأما الجامعون بين هـذه الثلاثة علوم فقليل ، ولم تجتمع فى أحد بعد السـبكى غيرى .

قال : ولا يظن أن من لازم المجتهد المطلق ان يكون مجتهدا فى الحديث ، مجتهدا فى العربية لأنهم قد نصبوا على انه يشترط فى الاجتهاد المطلق التبحر فى العربية ، بل يكتفى فيها بالتوسط ، ونصبوا فى الحديث [على] ما يؤدى الى مثل ذلك .

والاجتهاد هو الرتبة التى اذا بلغها الانسـان سمى فى عرف المحدثين حافظا . وقـد وصف بالاجتهاد المطلق من لم يوصف بالحافظ ، كالشيخ أبى اسحاق(١) الشيرازى ، وابن نصر الصباغ ، وامام الحرمين ، والغزالى وقـد روى هؤلاء الثلاثة فى مؤلفاتهم أحاديث احتجوا بهـا وهى منكرة ، وقـد نبه عليها ابن الصلاح وغيره كالنووى .

فعلم أن خفاء بعض احاديث لا يقدح فى مقام الاجتهاد ، اذ ليس من شرط المجتهد أن يحيط علما بكل حديث ، وقد علق الشـافعى رضى الله عنه الأخذ بعدة أحاديث خفيت عليه(٢) فى صحتها ، وبعده صحت عند غيره ، بل وقع ذلك لأكابر الصحابة ، كعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كان يقضى بأشياء تخالف الحديث حتى يحدثوه بها ، فيرجع بها ، فيرجع عن اقضيته .

قال : وقـد بلغ الشيخ أبو محمد الجوينى رتبة الاجتهاد المطلق ، وألف كتابه المحيط ، والتزم فيه الوقوف مع الحديث ، وعـدم التقيد

---

(١) فى أ : وابن اسـحاق الشيرازى .

(٢) فى أ : الأخذ بعدة الأحاديث التى خفيت عليه .

بالمذهب ، فوقع للامام البيهقي منه ثلاثة اجزاء فى حيـاة المصنف ،
بالمذهب ، فوقع للامام البيهقى منه ثلاثة اجزاء في حياة المصنف ، فتعقب فيه اوها ما حديثية ، وارسل بذلك الى الجوينى ، من جملتها : الشيخ اهل ان يجتهد ويتخير ، ولكن يحتاج الى ثبوت الحديث الذى [احتج] به ، فانه غير ثابت ، فانظر كيف سـلم له رتبة الاجتهـاد مع خفـاء (امر)(١) تلك الأحاديث عليه ·

قال : وكان سراج الدين البلقينى مجتهدا مطلقا ، وكان من حفاظ الحديث ، ووصفه تلميذه ابن حجر بالحفظ ، وذكره فى طبقات الحفاظ ، ولكن لم يلتزم المرتبة العليا من الحفظ والتعديل ، بل كان معاصره الحافظ ابو الفضـل العراقى احفظ منه ، داخلا فى الحديث والفقـه ، وكانت عربية البلقينى وسطى ، واما بقية من جاء من المجتهدين من السبكى الى اليوم فلم يكن فيهم من بلغ رتبة البلقينى فى الحديث(٢) ·

واما قبل السبكى فاجتمع الاجتهاد فى الأحكام والحديث لخلق كثير منهم : ابن تيميـة ، وابن دقيق العيد والنووى وقبله ابو شـامة وقبله ابن الصلاح · اما قبله من المتقدمين فكثير جـدا ·

واما الاجتهاد فى العربية فلم يكن بعد ابن هشام من يصلح لأن يوصف به غيرى الا ما بلغنى عن العمادى · وقبل ابن هشـام خلائق لا يحصون ، كأبى حيـان ، والآمدى ، وابن الصائغ ، وابن مالك · قال : وغالب الناس لا يعرفون الاجتهاد فى الحديث والعربية ، وانما يعرفون الاجتهاد فى الشريعة فقط ·

وقـد قال الامام الرازى فى المحصول ما نصه : المعتبر فى الاجماع و [فى] كل فى من كان من اهل الاجتهاد فى ذلك ولم يكونوا من اهل

---

(١) ساقطة من ب ، حـ ·

(٢) فى ب ، حـ : والأيرى ·

الأجتهاد فى غيره . والف الشيخ كتبا فى بيان شروطها الاجتهاد المطلق منها : ارشاد المهتدين الى نصرة المجتهدين ، ومنها تيسير الاجتهاد وماله من الاسناد ، والد على من اخلد الى الأرض وجهل ان الاجتهاد فى كل عصر فرد .

واطال فى ذلك ثم قال : فالعبرة فى مسائل الكلام بالمجتهد فى الكلام، وفى مسائل الفقه بالتمكن والاجتهاد [فيه] . فالعبرة بأهل الكلام اذا تكلموا فى الفقه ، لا بـ [أهل] أصول الفقه اذ تكلموا فى علم الكلام، بل من تمكن فى الاجتهاد فى الفرائض دون المناسك يعتبر وثاقته وخلافه فى الفرائض دون المناسك وقال أبو الحسن البصرى : ولا يجوز التقليد فيه أصول الفقه ، كما لا يجوز فى أصول الدين ، ولا يكون كل مجتهد فيه مصيبا ، بل المصيب واحد ، بخلاف الفقه فى الأمرين ، قال : والمخطىء فى أصول الفقه معذور غير ملوم .

فهذه ثلاث قواعد خالف فيها الفقه ، أصول الفقه (لأن أصول الفقه)(١) ملحق بأصول الدين ، ومطالبه قطعية . انتهى .

فانظر يا أخى الى كلام الامام أبى الحسن البصرى كيف اطلق الاجتهاد والمجتهد فى أصول الفقه وسائر الفنون .

قال : ويشكل على هذه الاجتهادات الثلاث . فأما الاجتهاد فى العربية فهو ان يحيط بنصوص ائمة الفن ، من سيبويه الى زماننا هذا ، ويحفظ غالب شعر العرب يحتج بأشعارهم العربية ، ولا يضر خفاء بعض ذلك عليه ، وليس المراد حفظها عن ظهر قلب ، وانما المراد ان يكون له اطلاع على دواوينهم بحيث يعرف محل الاستدلال بذلك من الكتب ، ويكون مع ذلك محيطا بقواعد النحاة التى بنو تصرفاتهم عليها ، غير القواعد المذكورة فى واضحات الكتب ، فان تلك كالأصول لهذه القواعد ،

---

(١) ما بين الحاصرين سقط من ب ، حـ .

وهــذا لا يعرفه الا متبحر فى الفن قال : وقد بالغت فى هــذه القواعد المذكورة فى واضحات الكتب ، فان تلك كالأصول لهذه القواعد ، وهذا لا يعرفه الا متبحر فى الفن · قال : وقــد بالغت فى هــذه القواعد كما تجمع اصول (النحو على مصطلح قواعد النحو)(١) والفقه ·

أما الاجتهاد فى الحديث والفقه فقال الحافظ المزى(٢) : أقل مراتب الحافظ ان يكون الرجال الذين يعرفهم ، ويعرف تراجمهم وبلدانهم أكثر من الذين لا يعرفهم ليكون الحكم للغالب ـ وأما ما يحكى عن المتقدمين من قولهم : كنا لا نعد صاحب حديث من لا يكتب عشرين ألف حديث فهو بحسب زمانهم ·

وكان الحافظ ابن حجر يقول : للشروط(٣) التى اجتمعت فى الآن اسمى حافظا ، وهى : الشهرة بالطلب ، والأخذ من أقوال الرجال ، والمعرفة بالجرح والتعــديل ، والمعرفة بطبقات الرواة ومراتبهم ، وتمييز الصحيح من السقيم حتى يكون ما يستحضره من ذلك أكثر مما لا يستحضره، مع اسـتحضار الكثير من المتون فهــذه الشروط من جمعها فهو حافظ ·

قال : الحافظ ابن حجر يحفظ ما ينوف على مائتى ألف حديث ، وكان الشيخ عثمان الديمى يحفظ عشرين الف حديث · وأما انا فأحفظ مائتى الف حديث ، ولو وجدت أكثر لحفظت · ولعله لا يوجد على وجه الأرض أكثر من ذلك(٤) ·

---

(١) ما بيد الحاصرين سقط من أ ، حـ ·

(٢) فى الأصــول : المزنى · والمعروف بالحفظ فى الحديث هو المــزى ·

(٣) فى الأصول : الشروط ·

(٤) بل وجد ، فقد روى ابن الجوزى باسناده أن أبازرعة الرازى قال : أحفظ مائتى الف حديث كما يحفظ الانسان قل هو الله أحد ، وفى المذاكرة ثلاثمائة ألف حــديث انظــر (الحدائق لابن الجوزى جـ أ ورقة ٦) مخطوط ٣١٦ حديث دار الكتب المصرية ·

وأما الاجتهاد فى الفقه فقد الفت فيه كتبا .

وله رضى الله عنه سبع سؤالات أوردها على علماء العصر ، ولم يجب عنها احد ، وهى : ما تقول علماء العصر المدعون الفقه والعلم فى هذه الأسئلة :

[السؤال الأول] : أ - ب - ت - ث - الى آخرها (ما هى هذه الأسماء ، وما اسمها)(١) ، وهل هى أسماء جنس ، أو أسماء عناصر . فان كان الأول فمن أى الأجناس هى ؟ وان كان الثانى فهل هى شخصية أو جنسية . فان كان الأول فهل هى منقولة أو مرتجلة ، وان كان الأول فمم نقلت ، أمن حروف ام افعال أو اسماء أعيان أم مصادر ام صفات . وان كانت جنسية فهل هى من اعلام الأعيان أو المعانى .

السؤال الثانى : من وضع هذه الحروف ، وفى أى زمن وضعت ، وما مستند واضعها ، هل هو العقل أو النقل ؟

السؤال الثالث : هل هذه الحروف مختصة باللغة العربية ، ام عامة المذاكرة ثلاثمائة الف حديث ، انظر (الحدائق لابن الجوزى حـ أ ورقة ٦) فى جميع اللغات ؟

السؤال الرابع : هل الألف والهمزة مترادفان أولا ؟ وعلى الثانى فما الفرق ؟ وأيهما الأصل ؟

السؤال الخامس : لم أجمع علماء اللغة والعدد وغيرهم من المتكلمين على المفردات على الابتداء بحرف الهمزة ، وهل هو أمر اتفاقى ، أم لحكمة ؟

السؤال السادس : كلمات (أبجد . هوز) الى آخرها . هل هى مهملة ام مستعملة ؟ وما عنى بها ، وما أصلها ، وكيف نقلت الى المراد

---

(١) ما بين الحاصرين سقط من ب ، حـ

بها ، وما ضبط الفاظها ؟

السؤال السابع : ما حكمها فى الابتداء والوقف والمنع من الصرف والتذكير والتأنيث والاعراب واللفظ والرسم وعند التسمية بها ، وما حكمها شرعا عند نقشها على ثوب أو بساط أو حائط أو سقف ، هل لها من الحرمة ما للحروف المجتمعة أم لا .

فمن أجاب عن هـذه الأسئلة فهو من الرجال ، والا فلا مزية له على الأطفال ومن عجز عن ألف ، باء ، تاء ، فلا ينبغى له أن يقرر أبحاثا انتهى ما نقلته من خطه رضى الله عنه .

وكان الشيخ العلامة شمس الدين الدواوى(١) يقول : رأيت الشيخ وقـد كتب فى يوم واحد ثلاث كراريس تأليفا وتحريرا ، وكان مع ذلك يملى الحديث ويجيب عن المتعارض منه بأجوبة حسنة من غير تكلف .

وكان رضى الله عنه يقول : ما أجبت قط عن مسألة جوابا الا وأعددت لها جوابا بين يدى الله تعـالى ان سئلت عنه . وكان اذا عارضه أحد فى أجوبته يردفها بأجوبة أخرى حتى يبهر العقول .

وغسل قبل موته كتبا لا يعلم أهل عصره لها نظيرا . وسرق بعض المعاصرين له كتابا ونسبه الى نفسه ، ولم يكن عنده الشيخ غيره ، فألف فى ذلك كتابا سماه « البارق فى قطع يد السارق » . ثم قال : لعمرى ان المؤلف انما يطلب ثوابه من الله تعـالى ، فكيف يطلب أجـره على ما لم يعلمـه .

وكان رضى الله عنه أعلم أهل زمانه بعلوم الحديث وفنونه ، حافظا متقنا ، يعرف غريب ألفاظه ، واستنباط أحكامه ، وقـد بيض ابن حجر عـدة أحاديث لا يعرف من خرجها ولا مربتها . فخرجها الشيخ وبين

---

(١) هو تلميذ الجلال السيوطى ، ومؤلف كتاب طبقات المفسرين، ولا يزال مخطوطـا .

مرتبتها من حسن وضعيف وغير ذلك ٠

واخبرنى الشيخ سليمان الخضيرى الصوفى رضى الله عنه قال : أرسل شيخ الاسـلام جلال الدين الأوجاقى معى عـدة احاديث بيض لها الحفاظ ، ولم يعرفوا مرتبتها الى الشيخ جلال الدين ، فسلب رواتها ، فردهم الشيخ الى من لهم رواية عنه ، وبين مرتبتها ، فذهب شيخ الاسـلام اليه ، وقبل يده وقال : والله ما كنت اظنك تعرف شيئا من ذلك ، فاجعلنى فى حل ، فطالمـا تغديت وتعشيت بلحمك ومك ٠

واخبرنى الشيخ سليمان ايضا قال : بينا انا جالس فى الخضرية على باب الامام الشـافعى رضى الله عنه اذ رايت جماعة عليهم بياض ، وعلى رءوسهم غمامة من نور ، يقصدوننى من ناحية الجبل ٠ فلما قربوا منى فاذا هو النبى ﷺ واصحابه رضى الله عنهم ، فقلبت يده ، فقال النبى ﷺ : امض معنـا الى الروضـة ، فذهبت مع النبـى ﷺ الى بيت الشيخ جلال الدين ، فخرج الى النبى ﷺ وقبل يده وسلم على أصحابه ، ثم ادخله الدار ، وأجلسه وجلس بين يديه ٠ فصار الشيخ جلال الدين يسال النبى صلى الله عليه وسلم يقول : هات يا شيخ السنة ٠ انتهى ٠

وذكر الشيخ عبد القادر الشاذلى رحمه الله عن الشيخ رضى الله عنه انه رآى هـذه الرؤيا بعينها ، وقال له النبى ﷺ : هات يا شيخ الحديث كما سـيأتى ٠

وكان رضى الله عنه كثيرا ما يجيب السائل على البديهة ثم يقول : الذهن خوان ٠ افتح الكتاب الفلانى ، وعد من الصفحة الفلانية كذا كذا سطرا تجد المسالة ان شـاء الله تعالى كما قلت لك فيفتح الكتاب فيجد الأمر كما قال ٠

وكان رضى الله عنه يقول بنجاة ابوى النبى ﷺ ، وانهما فى الجنة ، ووافقه على ذلك جماعة من الحفاظ ٠

وكان رضى الله عنه يجتمع بالنبى ﷺ يقظة ، واخبرنى الشـيخ

عبد القادر الشاذلى : انه رآى بخط الشيخ جلال الدين ورقة كتبها لبعض اصحابه حين ساله ان يقضى له حاجة عند السلطان الغورى [فيها] يا أخى، انى ارى النبى ﷺ يقظة(١) ، واخــاف ان اجالس السلطان الغورى فيحتجب عنى عقوبة لى . ولكن أسأل لك النبى ﷺ . فقلت : يا سيدى ، فكم مره نظرت النبى ﷺ يقظة ؟ قال : بضعا وســبعين مرة . قال : وقــد ألف الشيخ كتابا سماه « تنوير الحلك ، فى امكان رؤية النبى والملك »

وذكر فيه من كان يجتمع بالنبى ﷺ وبالملك فى اليقظة لا فى المنام من الأولياء والصحابة والعلماء ، ولم يذكر فيه شــيئا مما ذكره فى هــذه الورقة التى ذكرناها . وكان رضى الله عنه يقول : رايت النبى ﷺ يقظة فقال لى : يا شيخ الحديث . فقلت : يا رسول الله ، أمن أهــل الجنة انا ؟ فقال : نعم . فقلت : من غير عذاب يسبق ؟ فقال : النبى ﷺ : لك ذلــك .

وكان الشيخ عطية الأبيارى يقول : قال لى الشيخ جلال لمــا سألته يقضى له حاجة عند السلطان : ياعطية ، انى أجتمع بالنبى ﷺ يقظة ، واخاف ان أجتمع به فيحتجب عنى النبى ﷺ ، ثم قال له : اكتم عنى ذلك ، ولا تخبر به الا بعد موتى .

قال الشيخ قاسم الامام بمقام الامام الشافعى رضى الله عنه : ومراد من قال انه رأى النبى ﷺ يقظة انكشــاف حجاب القلب ، وليست كرؤية احدهما صــاحبه الآن .

واخبرنى خادم الشيخ جلال الدين وكان اسمه محمد بن على الحباك. قال لمــا وقعت فتنة الشيخ برهان الدين البقاعى فى انكاره على سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه قال لى الشيخ جلال الدين : قم بنا الى زيارة سيدى عمر ، وكان وقت القيلولة ، فزرناه وطلعنا الى ســيدى عبد الله

---

(١) فسر المؤلف طريقة رؤية النبى ﷺ يقظة بما يدفع أى اعتراض .

الحيوشى فوق الجبل ، فراينا الظل تحت حائط الزاوية نحو ذراع(١) . فجلسنا ساعة فقال لى : تريد ان تصلى فى مكة صلاة العصر بشرط ان تكتم على ذلك حتى اموت ؟ فقلت : نعم . فاخذ بيدى وقال : غمض عينك ، فغمضتها ، فرمل بى سبعة وعشرين خطوة ، ثم قال لى : افتح عينك . فاذا نحن بباب المعلى(٢) . فزرنا السيدة خديجة رضى الله عنها ، والفضيل بن عياض ، وسيفان وغيرهم . ودخلنا الحرم فطفنا وشربنا من ماء زمزم . ثم قال لى : يافلان ليس العجب من طى الأرض لنا وانما العجب من كون واحد من اهل مصر المجاورين لم يعرفنا . ثم قال لى : ان شئت تمضى معى ، وان شئت تقيم حتى تاتى مع الحجاج . فقلت : بل اذهب معك يا سيدى . فمشينا الى باب المعلا وقال لى : اغمض عينيك فغمضتهما ، فهرول(٣) بى سبع خطوات ، قم قال : افتح عينيك . ففتحتها فاذا نحن بالقرب من الجيوشى . فنزلنا الى سيدنا عمر ، فركب الشيخ حمارته وذهبنا الى بيته فى جامع طولون . انتهى .

قلت : ورايت الشيخ مرة ومعه مفاتيح كثيرة فأعطاها لى وقال : هذه مفاتيح علومى فخذهـا .

واخبرنى شيخنا الشيخ امين الدين الامام بجامع الغمرى قال : سمعت الشيخ جلال الدين يقول عشرة وتسعمائة : اسمع منى هـذا الكلام ، ولا تخبر بذلك احدا حتى اموت . يدخل سليم ابن عثمان مصر افتتاح عام ثلاث وعشرين وتسعمائة ، ويبدو خراب مصر ، وتنقرض بياضاتها من ذوى البيوت سنة ثلاث وثلاثين ، فما يصير احد يشـارك اليه منهم ، وتخرب خرابا وسـيطا سنة سبع وخمسين . ويقف خراج غالب رزقها . وتخرب

---

(١) فى ب ، حـ : الذراع

(٢) طى الأرض وارثة محمدية لا اعتراض عليها ، وقـد تواترت بهـا اخبار الثقات .

(٣) فى ب : فجرى بى

خرابا شديدا اشـد من ذلك سنة سبع وستين ٠

قلت : وسمعت هـذا الكلام من الشيخ امين الدين سنة خروج السلطان الغورى لقتال السلطان سليم ٠ فأخبرت بعض العلماء الذين ينكرون على الشيخ جلال الدين بذلك فقال : هـذا أمر لا يجوز تصديقه ٠ فلما قتل الغورى ودخل عسكر السلطان سليم افتتاح عام ثلاث وعشرين وصاروا يحرقون ابواب بيوت الجراكسـة ويقتلونهم ، ويسـبون حريمهم ، فقال الشيخ امين الدين : اذهب الى ذلك المنكر فقل له : انظر الى صدق ما اخبر به الشيخ ، لم يخطىء يوما واحدا ٠ فقال ، وكل شىء يرعد فيه : هـذا موافقة قـدر ٠ فردت جوابه على الشيخ امين الدين ، فتبسم وقال : وانشقاق وانشقاق القمر للنبى صلى الله عليه وسلم بقدرة الله عز وجل ايضـا ٠ وانما المعجزة فيـه اجابة الحق تعـالى سـؤاله ، والانتصار له ٠ وكذلك القول فى كرامات الأولياء ٠ ثم قال : يا سبحان الله ، والحسـد يؤدى الى هـذا كله ؟

قلت : وقـد صدق الشيخ فى العلامة الثانية والثالثة ٠ ووقف خراج مصر فى سنة سبع وخمسين وبقيت العلامة الرابعة ، والله تعالى اعلم ٠

واخبرنى الشيخ عبد القادر الشاذلى : لمـا بلغ الشيخ جلال الدين اربعين سنة اخـذ فى التجـرد والعبادة والانقطـاع الى الله عز وجـل بالاشتغال به صرفا ، والاعراض عن الدنيا واهلها ، حتى كأن لم يعرف احـدا منهم ٠ وشرع فى تحرير مؤلفاته وترك الافتـاء والتدريس ، والف كتابا سـماه « التفتيش فى الاعتذار عمن ترك الافتاء والتدريس » واقام فى روضـة المقياس ، فلم يتحول منها الى أن مات ٠ وبلغنا انه لم يفتح طاق بيته التى على بحر النيل مدة سكناه ٠

وكانت الأمراء والأغنياء يأتون الى زيارته ، ويعرضون عليه الأموال النفيسة فيردها ٠ وارسل له السلطان الغورى خصيا والف دينار ، فرد الألف واخـذ الخصى واعتقه وجعله خادما فى الحجرة النبوية ، وقال

لقاصده : لا تعد تأتينا قط بهدية ، فان الله تعالى اغنانا عن مثل ذلك ٠ وقال له مرة : ان بعض الأولياء كان يتردد على الملوك والأمراء فى حوائج الناس فقال : اتباع السلف الصالح فى عدم ترددهم أسلم لدين المسلم ، وكذلك فى رد أموالهم عليهم ٠

واخبرنى الشيخ امين الدين ان الشيخ جلال الدين طلع مرة للسلطان قايتباى فى حادثة ، وعلى رأسه الطيلسان(١) ٠ فقال له السلطان : انت ملكى حتى تلبس الطيلسان ؟ لظنه انه خاص بالمالكية ٠ فقال له الشيخ : هذه عادة حدثت قريبا ٠ وكان الطيلسان فى الزمن الماضى خاصا بالشافعية (٢) الى زمن الشيخ تقى الدين السبكى ٠ وطال بينهما الكلام فقال الشيخ : (انما)(٣) الطيلسان سنة فى كل مذهب ، ولا يختص بالمالكية ـ فقال : هذا تكبر وتجبر ، وبالغ فى النكير ٠ فقال الشيخ : معاذ الله ، بل هو رسول الله ﷺ ٠ قال : ولم أؤاخذ السلطان على ذلك لكونه محذوفا على من بعض القضاة ٠ ثم انه تأدب معه فى آخر المجلس وانصرف ٠

فلما كان بعد ايام الشيخ ان أمامه ابن الكركى(٤) قال له : ليس الطيلسان سنة ، ولو كنت حاضرا عند قوله : سنة ، لقلت له : يعنى سنة اليهود قال الشيخ : بل هو يكفر لكونه رد سنة ثابتة عن النبى ﷺ ٠ ثم ان الشيخ جلال الدين صنف كتابا حافلا سماه « الأحاديث الحسان فى فضل الطيلسان » ٠

---

(١) لباس خاص بالعلماء والقضاة منذ العصر العباسى ٠

(٢) اضطربت عبارة الأصول هنا تقديما وتأخيرا واصلحناها ٠

(٣) ساقطة من ب ٠

(٤) هو قاض فى العصر المملوكى ، كان يحط على الصوفية كثيرا ٠

ثم ان السلطان مرض مرضا شديدا أشرف فيه على الموت ، وطلع له اهل العلم وغيرهم يهنئونهم بالسلامة ، فلم يطلع الشيخ اليه ، فأرسل له قاصدة فأبى فأوقد ابن الكركى عليه النار وقال : هـذا عاص لله ورسـوله فى عدم اجابة ولى الأمر ٠

قال الشيخ : ثم ان السلطان ارسل الى قاصده يخوفنى فى أمور يوقعها بى فقلت لقاصده : قل له ان لك سلطانا نيفا وعشرين سـنة ، ما رأينا مثلك سوءا فان لم ترجع عنى والا توجهت فيك الى رسول الله ﷺ يحكم بينى وبينك ٠

فسكت حتى طلع مشايخ الاسـلام يهنئونه بالشهر ، فاستفتاهم فى عـدم الطلوع له لسلوك طريق السلف فى ذلك ، فما منهم احـد نصر الحق وقال بما يلزم من أن عـدم دخول العلماء للملوك سنة ، وقالوا : هو سـنة السلف الصالح ٠

فعزلت نفسى من سـائر الوظائف التى لهم عليها ولاية ، والفت فى ذلك كتابا سميته « ما رواه الأساطين فى عدم المجىء الى السلاطين » ٠ فلما بلغ السلطان ذلك شق عليه ، وأرسل الى « أمير آخور كبير » والامام الذى يصلى بالسلطان بكلام طيب يطلب منى الطلوع مثلهم ، فلم اجبهم لذلك ، وأرسلت الى السلطان رسـالة سميتها « الرسالة السلطانية » فيها جملة الأحاديث الواردة فى منع العلماء من التردد على السلاطين ٠ فلما قراهـا عليه أمير أجور كبير قال السلطان : والله لو أن الشيخ أخذ عصاه وضربنى بها لأذعنت له بعد هـذا ولم أقابله ٠ فسـاء ذلك ابن الكركى ، وأخـذ على السلطان ، فرجع الى قوله الأول ، وصـار يتوعدنى بالقتل ٠ فقال لى شـيخ السـلام الشافعى : لا بأس أن تتلافى خاطر السلطان بارسال كلام طيب على لسـان أمير كبير ، فاننا نخاف عليك من السلطان فقلت له : انى متمسك بقوله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرة على

الحق حتى ياتى أمر الله ، لا يضرهم من خذلهم »(١) ٠ ثم انى توجهت الى رسول الله ﷺ ٠ فمرض بعد يومين ، واشتد به المرض الى ان مات بعد يومين ٠

ولما عمر السلطان الغورى مدرسته المعروفة بالقبة الزرقاء بعث للشيخ بمشيختها فلم يقبل : فقال نرتب لك جوالى كل شهر فلم يقبل ٠ وكان يعتقده اعتقادا عظيما ٠

ولما قام عليه صوفية الخانقاه(٢) البيبرسية ، وكان قد قال لهم : لستم بصوفية وانما الصوفى من يتخلق بأخلاق الأولياء ، كما يشهد لذلك كتاب الحيلة لأبى نعيم ، ورسالة القشيرى ، وغيرها من الكتب ٠ ومن ياكل المعلوم غير تخلق بأخلاقهم اكل حراما ٠

فلما اشتد الأمر وسعوا فى قتله عند السلطان قال الشيخ : ان رسول الله ﷺ اخبرنى انى منصور عليهم ولم تتغير فيه شعرة واحدة ٠ ثم ان جميع من قام على شيخ حصل له مقت بين العباد ، ومات على أسوأ حال ٠ وقد رأيت أنا بعينى من صار ينصب على من يبيع الدجاج والمآكل ويدخل بها بيته ، فلا يعود يخرج حتى يتعب صاحبها وييأس من ثمنها ويأكل حراما سحتا ٠ وبعضهم ابتلى بالانكار على العلماء والأولياء حتى ظهرت عليه امارات الشقاء عندما يموت ، من فقد الشهادة وزرقة العينين، وسواد الجبهة نسأل الله العافية ٠

ولما اججوا النار على الشيخ عند السلطان العادل وقالوا له : انه يحط عليك كثيرا ، قال السلطان : لئن رأيته لأقطعنه قطعا فقال الشيخ : ان رسول الله ﷺ اخبرنى ان رأسه تقطع فى يوم كذا وكذا ٠ وكان الأمر كما قال الشيخ ، لم يتخلف يوما واحدا ، وصدق الشيخ ٠

---

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى ٠

(٢) الخانقاه بيت يسكنه الصوفية وتجرى عليهم فيه الأرزاق ٠ وينقطعون فيه للعبادة والعلم ٠

قال الشيخ عبد القادر الشاذلى : وامتحن الشيخ المحن الكثيرة ، وما سمعته يوما واحدا يدعوا على من آذاه من الحسدة ، ولا يقابله بسوء ، وانما يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل · وصنف فى ذلك كتابا سماه : خبر الظلامة ليوم القيامة ·

واخبرنى الشيخ بدر الدين بن الطباح(١) نفع الله به لما قام الصوفية البيبرسية على الشيخ جلال الدين صنف فيهم كتابا سألونى أن أعارضه بكتاب فشرعت تلك الليلة فيه ، فاذا بورقة وقعت فى حجرى فى مكتوب فيها : عبدى يا مؤمن ، لا تؤذ أحدا من حمل علم نبى · فرجعت عن التأليف وعلمت أن الشيخ جلال الدين على الحق ·

وكان الشيخ تقى الدين الأوجاقى يحط على الشيخ جلال الدين ، فاعترف بفضله واستغفر وقال : الأمور كلها لله تعالى ، يعطى العلم لمن يشاء ، لا تحجير عليه ، ولم يزل يعترف بفضله الى أن مات ·

ومناقب الشيخ كثيرة مشهورة · ولو لم يكن له من الكرامات الا اقبال الناس عليه فى سائر الأقطار وعلى كتبه ومؤلفاته ومطالعتها لكان ذلك كفاية لما اشتملت عليه من العلوم والمعارف ·

ومما انفرد به من المؤلفات ولم يسبقه اليه احد كتاب « المعانى الدقيقة فى ادراك الحقيقة » ، وكتاب « تزيين الأرائك فى ارسال نبينا الى الملائك » وكتاب « أنموذج اللبيب فى خصائص الحبيب »(٢)، وكتاب « نشر العلمين فى احياء الأبوين » ، وكتب كثيرة تعلم من كتاب الفهرست ·

مات رضى الله عنه فى سحر ليلة الجمعة المباركة ، تاسع عشر ليلة

---

(١) ستأتى ترجمته ·

(٢) بل سبق بهذا الكتاب ، بدلائل النبوة لأبى نعيم ، ونهاية السول فى خصائص الرسول لابن دحية ، وخصائص النبى لابن الملقن ·

فى جمادى الأولى ، سنة احـدى عشرة وتسعمائة ، وكان مرضه سبعة ايام بورم شـديد فى ذراعه الأيسر ، يقال : انه الخلط الحاد ، وقـد استكمل من العمر احدى وسـتين سنة ، وعشرة اشهر ، وثمانية عشر يوما ، وكان له مشهد عظيم ، ودفن فى حوش توصون خارج باب القرافة ، رضى الله عنه ، وقبره ظاهر يزار ، وعليه قبـة عظيمة • نفعنا الله تعـالى والمسلمين ببركته وبركة علومه ومدده • آمين •

شـيخ الاســلام
الشـيخ زكريا الأنصـارى

ومنهم شيخنا وقدوتنا الى الله تعـالى الشيخ زكريا الأنصارى رضى الله عنه شارع البهجة والروضـة وغير ذلك • انتهت اليه الرئاسـة فى مصر ، حتى أنه لم يبقى فى مصر اواخر عمره الا طلبته أو طلبة طلبته • وقرىء عليه شرح البهجة سبعة وخمسين مرة ، حتى أتم تحريره(١) ، ولم ينقل عن أحد من المؤلفين ، وغالبهم يمت عقب (انجاز)(٢) مؤلفاته من غير تحـرير •

وكان رضى الله عنه مهيب المنظر ، مع أنه اذا رآه الانســان امتلأ قلبه انسا وذلك علامة ولايته ، فان الهيبة قلم تجتمع مع الأنس فى شخص (واحد)(٣) • وكان يدرس فى علم الفقه والتصوف ، ولازمته وطالعت له لمـا كف بصره عشر سنين كانها من طيبها كانت سنة ، لكونى ما كنت اجـد عند احد غيره ما كنت أجد عنده ، بل اقول : طوبى لعين نظرته ولو مرة واحـدة •

---

(١) التحرير • فى ب •

(٢) سـاقطة من أ •

(٣) وهكذا كان النبى ﷺ : من رآه يهديه هابه ، ومن جالسـه أحبه • انظر [سيرة ابن هشام ١٠٧/٢] •

وكان رضى الله عنـه مقبلا على ربه على الدوام ، لا تكاد تجـده غافلا من عبادة ربه لحظة واحدة ، وكنت اذا أصلحت شيئا فى الكتـاب الذى اقرأ عليه بصير يقول بخفيف صوت : الله . الله . ولا يمكث غافلا عن الذكر لحظـة . وكان يشرح كلام أهل الطريق على اتم حال ، ويجيب عنه بالأجوبة الحسنة اذا أشكل على الناس شىء من كلامهم .

وكان يقول : ان الفقيه اذا لم يكن له معرفة بمصطلح الفاظ القوم فهو كالخبز الجـاف من غير ادام .

ولـمـا وقعت فتنة برهان الدين البقاعى فى انكاره على سيدى عمر ابن الفارض رضى الله عنه أرسل السلطان الى العلماء ، فكتبوا له بحسب ما ظهر لهم وامتنع الشيخ زكريا رضى الله عنه ، ثم اجتمع بالشيخ محمد الاصطمبولى فقال : اكتب وانصر القوم وبين فى الجـواب ، أنه لا يجوز لمن لا يعرف مصطلح القوم أن يتكلم فى حقهم بشر ، لأن دائرة الولاية تبدىء من وراء طور العقل لبنائها على الكشف .

وكان رضى الله عنه من أصحاب الهمم العالية ، ورأيته بعد بلوغ عمره أكثر من مائة سنة يصلى النوافل حال مرضـه قائما ، فيصير يميل يمينا وشمالا ، لا يكاد أن يتمالك أن يقف من غير ميل . فقلت له يوما : مثلكم يا سيدى لا يكلفه الله تعالى بالصلاة قائما . فقال : يا ولدى النفس من شأنها الكسل ، وأنا أخاف أن تغلبنى فأختم عمرى بذلك .

وكان اذا طول عليه أحـد فى الكلام يقول : عجل فقد ضيعت علينا الزمان ومكثت أتغذى معه مدة عشر سنين ، فما كان يزيد على ثلث الرغيف من خبز خانقاه سعيد السـعداء . وكان يقول : انما خصصتها الأكل من خبزهـا لكون صاحبها كان رجلا صالحا ، وذكرها أنه عمرها باشارة النبى ﷺ .

وكان اذا حضر عنده اكابر العلماء يخفون فى نوره ، حتى كأنهم أطفال بين يديـه . وكانت هيبته فوق هيبة السلطان . وقـد حالست

السلطان الغورى ، والسلطان طومان باى بعد الغورى ، وكانت هيبته ترجح عليهما ٠

وكان رضى الله عنه كثير الكشف ، لا يكاد يخطر فى قلبى شىء بين يديه الا قال له : قل ما فى قلبك ٠ وكنت اذا حصل عندى صداع فى راسى ، وتاوهت وانا طالع يقول لى : انو الاستشفاء بالعلم يذهب ٠ فاذا نويت ذلك شفيت ببركة اشارته ، لا ببركة اخلاصى ٠ وهذا دليل على اخلاص الشيخ فى العلم ، فان الانسان لا ينوى الشفاء بعمل لا اخلاص فيه ، بدليل الثلاثة الذين دعوا الله بصالح اعمالهم لما انحدرت عليهم الصخرة فسدت عليهم فم الغار ٠

واخبرنى انه من حين كان شابا وهو يحب طريق الصوفية ويحضر مجالس ذكرهم ، حتى كان الأقران يقولون : زكريا لا يجىء سنه شىء فى طريق الفقهاء ، لكونى كنت مكبا على مطالعة رسائل القوم ، مواظبا على مجالس الذكر ، بحيث كان يذهب غالب الوقت فى ذلك ٠

واخبرنى انه سافر من مصر الى سيدى محمد الغمرى بالمحلة الكبرى(١) ، وتلقن عليه ، واقام عنده أربعين يوما ، وقرأ عليه قواعد الصوفية(٢) كاملا له ثم رجع الى مصر ، رضى الله تعالى عنه ٠

واخبرنى رضى الله عنه انه دخل يوما على سيدى محمد الغمرى الخلوة على غفلة ، فرأى له سبع عيون ، فلما بهت(٣) فيه قال : يا زكريا ، ان الرجل اذا كمل صار له سبع عيون بعدد اقاليم الدنيا ٠ قال : ورأيته

---

(١) ترجم له فى الطبقات الكبرى والمحلة مركز صناعى للنسيج فى محافظة الغربية بمصر ٠

(٢) الكتاب لا زال مخطوطا فى فهرس التصوف بدار الكتب المصرية ٠

(٣) بهت : أى نظر وهو يحملق متعيربا ٠

مرة اخرى جالسا فى الهواء الخلوة قريبا من السقف(١) ٠

وقال : ولما اشتغلت بالعلم وبرعت فيه بحمد الله شرحت البهجة، فلما اتممت شرحها غار بعض الأقران ، فكتب على بعض نسخ الشرح : كتاب الأعمى والبصير ، تعريضا بى ، بأنى لا اقدر على شرح البهجة وحدى ، وانما ساعدنى فيه رفيقى وهو اعمى كنت اطالع انا واياه ، فاحتسبت بالله ولم التفت الى مثل ذلك ، اقتداء بامامى الشافعى رضى الله عنه فى قوله : أحب ان اقرأ هذه العلوم ولا ينسب الى شىء منها ٠

قال : وكان تاليفى لشرح البهجة يوم الاثنين والخميس ، لكونهما ترفع فيهما الأعمال كما ورد فى الحديث ، وكان تأليفى فوق سطح الجامع الأزهر ٠ قال : وكان وقتى رائقا من الكدورات النفسانية لقلة علائقى فى الدنيا ٠ وكان ظاهرى بحمد الله محفوظا من الأعمال الرديئة ، وكنت قليل اللهو واللعب ، قليل الذهاب الى مواضع النزهات ٠ وما سكنت قط على نهر النيل ، او خليج ، ولكن كان الطلبة اذا ارادوا رؤية البحر اذهب بهم الى ناحية مسجد الآثار ببركة الحبش ويقرءون دروسهم هناك ٠ وكنت اعوم فى النهر كل سنة مرة خوفا من ان ينفك ادمانى العوم ، فانه كما فى الرجل والمرأة ٠

قال رضى الله عنه : وكنت مجاب الدعوة ، لا اكاد ادعو على من ظلمنى الا ويقصمه الله تعالى ، ولا لمريض الا شفاه الله عز وجل ، فلما اشتهر ذلك عنى اشار على بعض الفقراء بستر حالى ٠

وكان رضى الله عنه كثيرا ما يحكى لى من احواله ثم يقول لى : يا ولدى ، اكتم على ذلك ايام حياتى ، فانى لم انطق بذلك الا لك ، فيحصل لى بذلك غاية السرور ، حيث جعلنى محلا لموضع اسراره ٠

---

(١) يرجع ذلك الى صفاء عناصره النفسية وتغلب الروح عليها ، فيصير روحيا ، والروح علوية تنزع الى الفوق ٠

وقال لى مرة : هل هنـا احد غيرك ؟ فقلت : لا ، فقال : أريد ان اذكر لك بداية أمرى لتحيط بذلك علما • فقلت له : نعم ، فقال : جئت من البلاد الى الجامع الأزهر وانا شـاب ، فلم اعكف على الاشتغال بشىء من امور الدنيا ، وكنت اذا جعت فى الجامع واشـتد على الجوع اخرج فى الليل الى الميضاة ، فاغسل قشـيرات البطيخ التى حولها فآكلها ، بها على الخبز ، فاقمت على ذلك الحال سنين ، ثم ان الله تعالى قيض لى شخصـا من اوليـاء الله تعـالى كان يعمل فى الطواحين فى غربلة القمح ، وكان يتفقدنى ويشترى لى ما احتـاج اليه من الأكل والشرب والكسـوة والكتب ويقول لى : يا زكريا لا تخف على شـيئا • فلم يزل معى كذلك عـدة سنين •

فلما كنت ليلة من الليالى اخـذ بيدى واتى به الى سلم الوقاد الذى فى صحن الجامع الأزهر فقال لى : اصـعد الى آخر هـذا الكرسى • فصعدت ولا زال يقول لى : اصـعد ، حتى صعدت الى آخره ، ثم قال لى : يا زكريا ، انك تعيش حتى يموت جميع اقرانك ، ويرتفع شـانك ، وتتولى منصب شـيخ(١) الاسـلام مدة طويلة • ثم انقطع عنى فلم اره الى يومى هـذا •

وكانت اول شهرة الشيخ ايام السلطان خشقدم ، وذلك انه كان فى باب النصر رجل مشهور بالصلاح يمر عليه السلطان خشقدم ، فوقف عليه يزوره ، فقال الشيخ للسلطان : ان كان لك حاجة فاسأل فيها الشيخ زكريا• فركب السلطان فزاره ، فأسرعت اليه النـاس ، فمن ذلك اليوم اشـتهر بالصلاح • وقال لى : انها كانت غلطة عظيمة • فقلت له : ما هى ؟ فقال : توليتى للقضاء صيرنى وراء الناس ، مع انى كنت مستورا ايام السلطان قايتباى • فقلت له : يا سيدى انى سمعت بعض الأولياء يقول :

(١) فى ب : مشيخة الاسـلام •

كانت ولاية الشيخ للقضاء سترا لحالة ، ولما شاع عند الناس من زهده وورعه ومكاشفاته ٠ فقال : الحمد لله ، خففت على يا ولدى ٠

وقال لى مرة : لما سألنى السلطان القضاء أبيت ، فغمز النقيب وأخرج لى الخلعة ووضعها على ظهرى مفاجأة ، وطلب لى بغلة أركبها ، فقلت : لا اغير حمارتى ، فركبت حمارتى وانا البس الخلعة ، فجاءونى بالبغلة فى أثناء الطريق ، وغلبونى على ركوبها فركبتها الى البيت ٠ وقال لى السلطان مرة : لقد شاورت نفسى أن آخذ بلجام بغلتك وأمضى معك الى بيتك ولى الشرف بذلك ٠

قال : ولم يكن احد يحمل نصحى بالكلام الجافى الخالى من المداهنة مثل السلطان قاتباى ، ولو قلته لأحد من العلماء فى هذا الزمان لعادانى طول عمرى ٠ قال : وكنت اذا تعذر على مشافهته بالنصح أتعرض له فى الخطبة بذلك الأمر خطابا عاما للحاضرين ، فيلحق هو بذلك ، فاذا سلمت من صلاة الجمعة قام الى وسلم على وقال : جزاك الله خيرا عنا فى هذا النصح ٠

ثم لم تزل الحسدة يزجون الى السلطان ، ويظهرون له المحبة والتأثر من وعظى هذا له ، و [فى] أنه يرسل الى يمنعنى من التعرض له فى الخطبة حتى قال لهم : وماذا اقول لشخص يبصرنى بعيونى وينصحنى ٠ ثم انى اغلظت عليه يوما فى النصيحة بحضرة بعض الأمراء والأكابر ، فتغير (١) منى ، فتقدمت اليه ثم امسكت يده وقلت : يا مولانا السلطان ، انما اعظك بأمور لأنها تقضى عليك ، واخاف على جسمك هذا أن يصير فحما من فحم جهنم ٠ فصار السلطان ينتقض ويبكى ٠

وقلت له مرة فى الخطبة : تنبه لنفسك يا من ولاه الله أمور العباد ، وتفكر بداية أمرك ، وما كنت فيه ، وحالك اليوم ٠ قد كنت عدما فصرت

---

(١) فى الأصول : فتطور ، وما اخترناه أوضح ٠ وهما بمعنى ٠

وجودا وكنت كافرا فصرت مسلما ، وكنت رقيقا فصرت حـرا ، وكنت مأمورا فصرت آمرا ، وكنت أميرا فصرت سلطانا . فلا تقابل هـذه النعم بالتجبر والتكبر ، وتنسى مبداك ومنتهاك ، ووضع انفك فى التراب حين تموت(١) ، ثم يأكلك الدود وتصير ترابا . فبكى السلطان ثم قال لمن حوله من الأمراء : اذا ابعدت هذا فمن يقول لى هـذا الوعظ .

واخبرنى يومـا ان الخضر عليه السـلام كان يجتمع بسـيدى على النبتيتى الضرير(٢) ، فسأله يوما عن احوال علماء العصر ، فصار يقول : ونعم ، فسأله عنى فقال : ونعم ، الا ان عنده نفيسـة ، فقال : يتوب منها . ولم يبين له الخضر ذلك . فتنكرت على افعالى ، وصار عندى تطير من جميع افعالى . فارسلت اقول لسيدى على اذا رأيته مرة أخرى فاسأله يبين لك النفيسة لأتوب منها ، فرآه فأخبره فقال له : اذا كاتب الأمراء فى حاجة يقول لقاصده : قل : هـذا الكتاب من الشيخ زكريا . فيسـمى نفسـه شيخا . قال : فمن ذلك اليوم ما تلفظت بهذه الكلمة .

وقال لى مرة : كنت كثير الاعتكاف فى خلوتى فوق سطح الجامع الأزهر فدق على رجل الباب ففتحت له فقلت : ما حاجتك ؟ فقال : قـد كف بصرى فدلنى الناس عليك ، وعلى فضلك ، تدعو لى بالشفاء فيرد الله على بصرى . قال : وكان لى علامة فى الدعاء المجاب وغير المجاب ، فرأيت علامات الاجابة حين توجهت الى الله تعالى ، ثم خفت الشهرة ، فقلت : خذ هـذا الدرهم وامض الى العجمى الذى تحت البرقوقية ، فقل له : بعثنى زكريا اليك لتعطينى بهذا الدرهم توتيا جافة . قال : فمضى الرجل واخذ التوتيـا ورجع الى . فقلت له : لا يرد الله عليك بصرك

---

(١) فى الأصول : حتى تموت . وما اخترناه أصح .

(٢) ترجم له فى الطبقات الكبرى .

فى مصر ، وانما يرده عليك فى « قطية » فسافر ، واذا رجع اليك بصرك فلا ترجع الى مصر فى هذه السنة .

قال الشيخ : فوصل الى [بيت] المقدس بصيرا ، ومكث يكتب مصاحف وكتب علم ، وأرسل لى كذا وكذا كتابا بخطه ، ولم يزل بصيرا الى أن مات .

وكان رضى الله عنه كثير الصدقة سرا وجهرا ، ولكن كانت صدقته سرا أكثر ، وما رأيت فى العلماء والصالحين أكثر صدقة منه ، وكان له جماعة يتصدق عليهم كعايتهم من يوم أو جمعة أو شهر ، وكان كثيرا ما يعطى كل وارد عليه تهنئته بالشهر ، ولكل واحد مقام عنده فى العطاء ، من القضاة والعلماء وطلبة العلم المساكين . فمنهم من له كل شهر عشرة أنصاف ، ومنهم من له خمسة أنصاف ، الى نصف ، الى عثمانى .

وكان غالب الناس يعتقد فى الشيخ قلة الصدقة من كثرة اخفائها ، وكان اذا جاءه فقير يطلب شيئا يقول لى : هل هنا أحد ، فان قلت له : نعم ، قال : قل له يأتينا فى غير هذا الوقت . وكان فقير من الصعيد له عليه مرتب كل يوم فيقول : زرت سيدى عبد القادر الجيلانى البارحة ، وزرت النبى ﷺ البارحة وزرت أبا الحجاج الأقصرى ، والشيخ ساكت . فقلت له يوما : انه لم يلحق هذه الأماكن ، فقال الشيخ : يحتمل أن يكون صادقا ، فان الأمر ممكن ، فان الدنيا خطوة مؤمن(١) .

ورأيت له مرة رؤيا حسنة لم أذكرها له ، فلما جلست بين يديه للمطالعة فى شرح البخارى قال لى من ذات نفسه : قف واذكر ما رأت

---

(١) هناك وصية للنبى ﷺ تشير الى طى الأرض . أخرج ابن السنى فى باب الوصية للمسافر من عمل اليوم والليلة قول النبى ﷺ « عليكم بالدجلة ، فان الأرض تطوى » وكان من دعائه فى السفر : « اللهم ازولنا الأرض » .

الليلة • فقلت : رأيت انى معكم فى مركب وانت جالس على يسـار الامام الشـافعى ، فقلت لى : سلم على الامام ، فسلمت عليه ودعا لى ، والمركب مقلعة فى بحـر مثل عباب النيل ورأيت المركب كلها مفروشـة بالسندس الأخضر ، وكذلك القلع وحباله كلها حرير اخضر ، ومتكآت خضر • فما زلنـا مقلعين حتى انتهينا الى جنينة عظيمة أصولها فى ساحل البحر ، وثمارها مدلاة من شراريف الحائط ، فطلعت أنا الى البسـتان من المركب ، فرأيت جوارى حسـان يجنين من الزعفران فى قفاف بيض ، على رءوسهن كل قفيفة من الز عفران قدر باقى الجزم ، قـدر اسباطة البلح فاستيقظت فقال لى : ان صدق منامك سوف ادفن بالقرب من الامام الشـافعى لكون المركب جمعتنى أنا وايـاه •

قال : وكان حاضرا عندنا الشـيخ جمال الدين الصافى ، والشـيخ ابو بكر الظاهرى • فلما توفى الشـيخ فتحوا له فسقية فى باب النصر ، فقال الشـيخ جمال الدين : أين رؤياك ؟ فقلت له : ان الشـيخ قال : ان صحت رؤياك • فبينما نحن كذلك وقد كفن الشيخ ، وما بقى الا الحمل ، جاء قاصد « خير بك » فقال : ان ملك الأمراء ضعيف ، ولا يستطيع أن ياتى الى باب النصر ، ومقصده من افضلكم أن تحملوه الى سـبيل المؤمن ليصلى عليه ، فحملوه • فلما صلى عليه ملك الأمراء قال : ادفنوه عند الامام الشافعى تجاه قبر الشـيخ نجم الدين الخيوشانى ، المطل عليـه الشباك ، قبالة وجه الامام الشافعى ، فكان الأمر كذلك •

وكانت جنازته مشـهودة ، ما رأيت اكثر خلقا منها ، وقد البسنى خرقة الصوفية ، وأرخى لى العذابة ، ولقننى الذكر • فبينى وبين سيدى احمد الزاهد رجلان ، لأن الشـيخ أخذ عن سيدى محمد الغمرى عن سيدى احمد الزاهد ، ولا أعلم الآن فى مصر أعلا من هـذا السند • فان غالب الناس بينه وبين سيدى أحمد الزاهد اربع رجال أو ثلاثة •

ولما توفى رضى الله عنه أظلمت مصر ، فكان فيها كالشمس رضى الله عنه فطوبى لعين رأته مرة . مات رضى الله عنه فى ذى الحجة الحرام سنة نيف وعشر وتسعمائة .

شيخ الاسلام
برهان الدين بن أبى شريف

ومنهم شيخنا وقدوتنا الى الله تعالى شيخ الاسلام برهان الدين بن ابى شريف الشافعى ، رضى الله تعالى عنه . كان شيخا عالما ورعا زاهدا متمكنا فى علوم الظاهر والباطن . صحبته رضى الله عنه نحو خمس سنين .

وكان من المقبلين على الله عز وجل ليلا ونهارا ، لا تكاد تسمع منه كلمة واحدة يكتبها عليه كاتب الشمال . وكان لا يتردد الى أحد من الولاة ابدا . وكان الانسان اذا عرض عليه بعض محفوظاته يتلجلج من شدة هيبته ، فيباسط الصغير حتى يهدأ روعه .

وكان له صبانة فى القدس يعمل فيها الصابون ، ويتقوت منها ، وكان لا يأكل من معاليم مشيخة الاسلام شيئا ، وكان قوالا بالحق ، أمارا بالمعروف ، لا يخاف فى الله لومة لائم . وعارضه السلطان الغورى فى واقعة فما افلح بعدها ابدا ، وسلب ملكه ، فكان الناس يقولون : جميع ما وقع للغورى ببركته . توفى رضى الله عنه سنة نيف وعشرين وتسعمائة رضى الله عنه .

شيخ الاسلام
الشيخ كمال الدين الطويل

ومنهم شيخنا الشيخ كمال الدين الطويل ، رضى الله عنه ، كانت الأنوار تخفق على وجهه . وكان رضى الله عنه اماما فى العلوم والمعارف ، متواضعا عفيفا ظريفا ، لا يكاد جليسه يمل من مجالسته . انتهت اليه

الرئاسة فى العلم ، ووقفت الناس عند فتاويه . وكانت كتب مذهب الامام الشافعى نصب عينيه لاسيما كتب الأذرعى والزركشى .

وكان من أولاد الترك . وبلغنا أنه كان فى ايام صباه يلعب بالحمام فى الريدانية(١) . فمر عليه سيدى ابراهيم المتبولى(٢) رضى الله تعالى عنه وهو ذاهب الى « بركة الحاج » . فقال : مرحبا بالشيخ كمال الدين شـيخ الاسلام . فاعتقد الفقراء أن الشـيخ يمزح معه ، اذ لم تكن عليه أمارات الفقهاء ، فمن ذلك اليوم ترك لعب الحمام ، واشتغل بالقرآن والعلم ، وعاش جماعة سيدى ابراهيم المتبولى الذين ظنوا ان الشـيخ يمزح معـه حين لقبه بشـيخ الاسلام حتى رأوه تولى مشيخة الاسلام ، فظهر لهم صدق الشـيخ .

ولمـا دنت وفاة الشـيخ كمال الدين رأيت سيدى ابراهيم فى المقام فقال لى : قل للشيخ كمال الدين يتهيأ للموت ، ويكثر من الاسـتغفار ، فقد دنا أجله ، فأعلمته بذلك ، فقال : سمعا وطاعة . فعاش بعد ذلك شـهرا ونصف شـهر .

فانظر يا أخى ملاحظة سيدى ابراهيم له أول أمره وآخره ؟ ومناقبه كثيرة توفى بعد دخول ابن عثمان مصر ، ودفن بتربته خارج باب النصر ، قريبا من المدرسة الحاجبية ، رضى الله عنه .

شيخ الاسـلام
الشيخ برهان الدين القلقشندى

ومنهم شيخنا شـيخ الاسلام الشـيخ برهان الدين القلقشندى رضى الله تعالى عنه . كان عالمـا صالحا زاهدا ورعا ، قليل اللهو والمزاح ،

---

(١) مكانها الآن العباسية .

(٢) ترجم له فى الطبقات الكبرى .

مقبلا على أعمال الآخرة حتى أنه ربما يمكث اليومين والثلاثة لا يأكل . انتهت الرئاسة اليه فى علوم السنة والكتب السنة والمسانيد والأجزاء .

وسمعت عليه بقراءة الشـيخ شمس الدين المظفرى « الفيلانيات »(١) ومسند عبد الله بن حميد . واجازنى برواياتها كلها . وكان رضى الله عنه اذا ركب بغلته وتطيلس ، يصير الناس كلهم ينظرون اليه من شدة الهيبة التى [كانت] عليه .

مات رضى الله عنه قبل دخول السـلطان سليم الى مصر ، وكأن الشمس كانت فى مصر فغربت . رضى الله عنه .

وكانت جنازته حافلة غاصة بالأمراء والصالحين . رضى الله عنه .

شيخ الاسـلام
شهاب الدين الشيشينى

ومنهم شـيخنا وقدوتنا الى الله تعالى شـيخ الاسلام شهاب الدين الشيشينى الحنبلى ، رضى الله عنه . كان عالمـا زاهدا تقيا ورعا عفيفا متواضعا . كلما رأيته يدرس العلم على نخ حلفا(٢) ليس فوق شئ .

وكان رضى الله عنه اماما فى التفسير والمذهب . وكان اذا دخل جامعا وقت صلاة العصر مثلا يصعد الكرسى بعد الصلاة ، ويتكلم على تفسير(٣) آية أو آيتين بكلام مشحون بالزواجر حتى يبكى الناس ، ثم يدعو وينزل .

وكان لا يأكل من معاليم مشيخة الاسلام شيئا ، ودخلت له مرة فرأيته يدور مواسير الغزل للحباكين فى حارته ، ويتقوت منها . وكذلك كان ولده الشـيخ عز الدين يفعل لمـا تولى مشيخة الاسـلام . وترك ذرية طاهرة . رضى الله عنه . مات سنة تسع عشرة وتسعمائة هجرية .

---

(١) هى الفوائد العاليات أو « الفيلانيات » للدارقطنى مخطوطة بفهرس الحديث دار الكتب المصرية .

(٢) اى على شبه الحصير من الحلفاء .

(٣) فى ب : فى تفسير .

الشيخ نور الدين الأشمونى

ومنهم شيخنا الامام العالم الصالح الورع الزاهد : نور الدين الأشمونى الشافعى رضى الله عنه · كان متقشفا فى مأكله وملبسه وفراشه · صحبته نحو ثلاث سنين كأنها كانت سنة من حسن سمته ، وحلاوة لفظه ، وقلة كلامه ، ولم يزل على ذلك حتى مات رضى الله عنه · نظم المنهاج فى الفقه وشرحه ، وشرح الفية ابن مالك شرحا عظيما · رضى الله عنه ·

الشيخ عبد القادر ابن النقيب

ومنهم شيخ الاسلام والمسلمين ابن النقيب ، رحمه الله تعالى ، وهو الشيخ محيى الدين ، واسمه عبد القادر · قرأ العلم على جماعة من الأعلام ، منهم الشيخ كمال الدين بن أبى شريف ، وشيخ الاسلام زكريا [الأنصارى] واضرابهما · تولى قاضى القضاة مرات ·

وكان لا يصلى الصبح صيفا و (لا) (١) شتاء الا فى الجامع الأزهر ، يمشى كل يوم من المدرسة الناصرية اليه · وكان رضى الله عنه متواضعا كثير البكاء من خشية الله تعالى · رضى الله عنه آمين ·

الشيخ سعد الدين الذهبى

ومنهم شيخنا وقدوتنا الى الله تعالى العالم الصالح الورع الشيخ سعد الدين الذهبى الشافعى رضى الله تعالى عنه · كان ورده كل يوم ختما شتاء وصيفا · وكان خلقه واسعا ، اذا تجادل عنده الطلبة يشتغل(٢) هو بتلاوة القرآن حتى يفرغ جدالهم · وكان يقضى جميع حوائجه من السوق ويحملها ولا يمكن أحدا [أن] يحملها معه · ولم تزل القفة بيده اذا مشى وهو يتلو القرآن سرا ·

وكان لا يقبل من أحد صدقة على خلاف ما عليه الفقهاء ، وكان رضى الله عنه كثير الصداقة · واوصى بمال جزيل للفقراء والمساكين ·

---

(١) سقطت من ا ·

(٢) فى حـ : اشتغل ·

توفى رضى الله عنه سنة نيف وعشرين وتسعمائة هجرية ، ودفن خارج باب النصر . رضى الله تعالى عنه .

الشيخ عبد الحق السنباطى

ومنهم شيخنا الامام العالم العلامة الصالح الورع الشيخ عبد الحق السنباطى الشافعى ، رضى الله عنه . كان طارحا للتكلف ، انتهت اليه الرئاسة فى الفقه والأصول وغيرهما من العلوم . وكنت اذا رأيته شهدت له بالصلاح قبل أن تخاطبه . مات رضى الله عنه بمكة المشرفة ، ودفن بباب المعلا ، سنة (ثلاثين)(١) .

الشيخ جلال الدين السكرى

ومنهم شيخنا الشيخ الامام العالم العلامة الشيخ جلال الدين السكرى ، والد الشيخ أبى الحسن رضى الله تعالى عنه . كان من العلماء العاملين ، وله القدم الراسخ فى علم التصوف والفقه والأصول وغيرها .

وقد أخذ العلم عن جماعة منهم العلامة الشيخ جلال الدين الكبير ، والشيخ يحيى المناوى(٢) واضرابهما ، وأجازوه بالافتاء والتدريس وهو ببلاد الفيوم ، فافتى بها ودرس ، وانتفع به خلائق لا يحصون .

ثم رحل الى مصر بأولاده وعياله باشارة الشيخ عبد القادر الدشطوطى رضى الله عنه ، فاستخلفه على عمارة الجامع التى عمرها بمصر وغيرها . فعمرها كلها من فيض فضل الله تعالى من حيث لا يحتسب ، وأشترى لهـا أوقافا ، واقام لهـا الشـعائر ، ولم يشـاركه احـد فى ذلك الأمر (لا من طلبة الشيخ ولا من طلبته ممن)(٣) .

---

(١) سقطت من ا .
(٢) هو صاحب الكواكب الدرية فى طبقات العلماء والصوفية .
(٣) ما بين الحاصرين سقط من ا .

كان من طلبته وتحت تربيته ، فكل الأماكن المنسوبة لسيدى عبد القادر عمارة سيدى الشيخ جلال الدين ، لأنها من كسبه واجتهاده ، وكان الشيخ عبد القادر غارقا فيما هو فيه من الجذب لا يفيق الا قليلا ، فالاسم له ، والمعنى للشيخ جلال الدين .

وسمعته رضى الله عنه يقول مرة للشيخ جلال الدين : اياك أن تدخل فى المقام أحدا من ابناء الدنيا ، واجعل جميع وظائفه وخبزه للفقراء والمساكين ومتعشقى(١) الركب والواردين . فامتثل الشيخ جلال الدين ذلك ، وسار فى المقام سيرة عظيمة .

وكان رضى الله عنه يكرم كل وارد عليه من أمير أو فقير ، أو غنى أو صغير ، ويقدم لكل واحد ما يناسبه . وكان كثير الأدب والحياء ، كريم النفس ، جميل المعاشرة ، حلو الكلام ، وكان الله عجن طينة جسده من سائر المحاسن . وكان يتفقد كل من نام عنده فى المقام ، ويسأل عن القيام بواجب حقه واكرامه . وبات عنده جماعة واشتروا عشاءهم ، فتكدر لذلك غاية التكدر وكان على وظيفة العرب فى الكرم والنحوة والمروءة .

وكان كثير الشفاعات عند الأمراء وغيرهم ، وكانوا يهابونه ويحلونه ، وكان مهيب المنظر ، عليه خفر العلماء العاملين ، والأولياء الصالحين ، كثير الصيام والقيام ، زاهدا ورعا عفيفا متقشفا فى ملبسه ومأكله ، لا يدخر شيئا من الدنيا ، ولا يبيت على دينار ولا درهم ، يكسو الفقراء والمساكين ، ويتفقد الأيتام والأرامل ، وكثيرا ما يعرف الماجور(٢) من الطعام ويضعه على باب الزاوية بعد المغرب ، فكل من رآه ذاهبا الى السوق يشترى عشاءه يقول له : تعال . فيغرف له ما يكفيه ويكفى عياله ، توسع بما كنت عازما على شراء عشائك به .

---

(١) فى ا : متعشقين .

(٢) اناء من الفخار يستعمل للعجن فى الريف .

وأوصافه الحسنة تجل عن تأليفى ، فأسأل الله أن ينفعنا ببركة أسلافه الطاهرين الكرام العظام آمين . مات رضى الله عنه ودفن بالقبة الكبيرة التى فى الجامع الأبيض ، وكانت جنازته مشهودة .

ورأيته بعد موته بشهور وهو فى نعشه طائر فى الهواء جاء الى مقام سيدى عبد القادر فدخل فى شباك القبة ، فقلت له : ياسيدى ما لك انتقلت . فقال : ان الفسقية التى أنا فيها يدخلها المــاء من بركة القرع . فقلت ذلك لولده الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه ، فقال : لعل مناك صحيحا . ثم فتح الفسقية فوجد الشيخ عائما بكفنه . فعمل للشيخ دكة خشب ووضعه عليها . رضى الله تعالى عنه .

الشيخ شمس الدين الدمياطى

ومنهم الشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين الدمياطى ، المقيم بخانقاه سعيد السعداء . كان محققا للعلوم ، كثير البكاء من خشية الله تعالى ، زاهدا ورعا عابدا ، لا يكاد ينام من الليل الا قليلا .

أخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ زكريا ، والشيخ برهان الدين بن أبى شريف والشيخ كمال الدين الطويل ، والشيخ عبد الحق السنباطى . وأخذ التصوف عن سيدى محمد الطنبولى ، وعن الشيخ نور الدين الحسنى . وكان سمته سمت الصالحين وأعماله أعمال المتقين ، وكان يعيب على الفقهاء الذين يتوسوسون فى ماء الطهارة ولا يتوسوسون فى اللقمة(١) ، ويقول لهم : « لو عكستم الأمر لأفلحتم » .

صحبته نحو خمس سنين ، ثم مات ، وكانت جنازته مشهودة ، وكان عازبا لم يتزوج قط ، وكان يطبخ بنفسه ، ويفرق على جيرانه ، ويطعم طلبته ويقول : ما أحوجنى الله الى النساء ، كابدت العزوبة سنة ، ثم ذهبت عنى شهوة الوطء .

---

(١) أى فى تحرى الحلال الخالص من العيش .

وكان كثير الذكر لله تعالى ، لا يكاد يغفل عن قول : الله ، الله ، الله ، فى حال درسه ، وفى حال عمله الشغل ، ويأمر رفقاءه(١) بكتمان ذلك ، فلم يظهر الأمر الا بعد موته · رضى الله تعالى عنه ·

الشيخ شهاب الدين الحسامى

ومنهم الشيخ الامام الفقيه الصوفى النحوى الشيخ شهاب الدين الحسامى رضى الله عنه · صحبته نحو عشر سنين ، فما رأيت وقتا دخل عليه وهو محدث ، وكان دائم الطهارة ، كثير الصمت والحياء والأدب ، يمكث اليومين واكثر لا يتكلم كلمة لغو ، وكان زاهدا ورعا كثير الصيام طويل القيام ، يقوم للتهجد من أول النصف الثانى من الليل ، وكان نهاره فى طاعة (الله)(٢) ، اما فى علم أو قراءة قرآن أو قراءة أوراده يقول من عاشره : ما ضبطنا عليه ساعة قط هو فيها غافل عن مصالح دنياه أو أخراه · وكان لا يأكل شيئا من صدقات الناس ، ولا يقبل هدية من الولاة والقضاة والمباشرين والتجار الذين لا يتورعون فى كسبهم ·

أخذ طريق التصوف عن جماعة منهم الشيخ على المرصفى رضى الله عنه ، وكان يذهب الى مجلسه كل جمعة ، وكان رجلا مهيب المنظر ، يتعمم بالقطن من غير قصارة(٣) ، وثيابه قصيرة على السنة المحمدية ، وكان يخدم نفسه ، ويشترى حوائجه من السوق بنفسه ، ولا يمكن أحدا يحملها معه ، وكان العلماء يرجعون اليه فى المعقولات ، ويعدلونه بابن هشام وابن مالك ، رضى الله تعالى عنهم ·

مات رضى الله عنه سنة نيف وعشرين وتسعمائة ، رحمة الله تعالى ·

---

(١) فى ا : ويأمرهم ·

(٢) سقطت من ا ·

(٣) اى من غير تبييض ·

الشيخ عبد الخالق الميقاتى

ومنهم الشيخ الصالح العالم العلامة الشيخ عبد الخالق الميقاتى ، رضى الله عنه صحبته نحو خمس عشرة سنة · وكان عالما فى مذهب الامام أبى حنيفة ، وله الباع الطويل فى علم المعقولات وعلم الهيئة وعلم التصوف ، وكان وقته كله معمورا بذكر الله وغيره من الصالحات ·

وكان كريم النفس ، لا ينقطع عنه الواردون فى ليلة من الليالى · وكان الفقراء [يحضرونه] ليلة الجمعة ، يتذاكرون عنده فى أحوال الطريق الى الصباح ، وله سماط من أول من شهر رمضان الى آخره ·

وكان دائم الصمت لا يتكلم الا لضرورة ، يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، لا تأخذه فى الله لومة لائم · وكان رضى الله عنه على طريقة الفقراء الأقدمين ، لا يعجبه أحد من فقراء الزمان وعلمائه ، و [يقول] : لا ينبغى لأحد أن يتظاهر بطريق القوم(١) الا ان صدق فى طريقهم · وكان يكره لبس الزى ويقول : ليست الطريق بمثل ذلك ، وانما كان السلف يلبسون الصوف والمرقعات لقلة الحلال المناسب لمقامهم ثم يقول : وماذا يغنى لبس مئزر الصوف والجبة ، وصاحبها ينام الليل ، ويفطر النهار ، ولو انه عكس الأمر لكان خيرا له · مات رضى الله عنه ودفن قريبا من جامع(٢) الملك · وكانت جنازته مشهودة ·

الشيخ شمس الدين الجزرى

ومنهم الشيخ العابد الصالح ، العالم الزاهد ، الشيخ شمس الدين الجزيرى الغمرى الشافعى رضى الله تعالى عنه · كان على قدم عظيم فى حفظ اللسان والجوارح ، لا يكاد كاتب الشمال يجد شيئا يكتبه عليه الجمعة واكثر ، وكان وقته كله معمورا بالعلم والعمل والأوراد ، وما سمعته قط يذكر احدا بسوء ، ولا يأكل لأحد من غير المتورعين فى مكاسبهم طعاما ·

---

(١) فى ا : يظاهر من القوم ·

(٢) فى ا : بجامع ·

وكان يحسب ماله ويخرج زكاته على التمام والكمال ، وكان كثير الصدقة سرا ، ويتفقد جيرانه بالطعام كل ليلة ، وكان حلو اللسان ، كثير الحياء ، كثير الأدب ، كثير الحلم والعلم · وبالجملة أوصافه الجميلة كثيرة · رضى الله تعالى عنه ·

الشيخ نور الدين بن ناصر

ومنهم شيخنا العلامة حافظ العصر الشيخ نور الدين بن ناصر الشافعى ، رضى الله عنه ، كان يحفظ نصوص الشافعى واقوال مقلديه عن ظهر قلب ، لا يحتاج الى نظر فى كراس · وكان حسن المعاشرة [دائم] التبسم(١) ، لا تكاد تجده الا متبسما ، وكان النور يخفق على وجهه يدركه كل المؤمنين ، وكان محفوظه اكثر من الروضة(٢) · وكان فى تدريسه كالبحر الهدار ·

اخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ عبد الخالق السنباطى ، ومنهم الشيخ نور الدين المحلى · وكتب على مؤلفاتى احسن كتابة ، ومات سنة نيف وعشرين وتسعمائة رضى الله عنه ·

الشيخ على الشافعى

ومنهم شيخنا العالم العلامة الشيخ على الشافعى رضى الله تعالى عنه · كان يجيب عن المسائل التى يسأل عنها ، وكان قل أن يكشف [فى كراسة] ، لأن مذهب الشافعى كان نصيب عينيه ، ومكث يفتى الناس اكثر من خمسين سنة كما أخبرنى بذلك فى مرض موته ·

وكان ورعا زاهدا قليل الكلام ، وربما يمكث اليوم كاملا لا يتكلم بكلمة لغو ، وكان يشهد فى الصالحين ولا يقضى ، وسألوه أن يكون قاضيا فأبى ، وكان بيته خاليا من أمتعة الدنيا ، لا تكاد تجد فيه غير الابريق ،

---

(١) فى ا : المعاشرة والتبسم ·

(٢) الروضة : كتاب فى فقه الشافعية شرح شيخ الاسلام الأنصارى ·

وَتختا(١) خلقا مفروشا تحته . وكان ملبسه اذا دخل بيته هديمات ، وعمامته شراميط .

ودخلت عليه فى مرض موته فقال : ياولدى ، خير الناس من خرج من الدنيا ولم يأخذ من أجر عمله شيئا ، لى خمسين سنة أفتى فى هذه البلدة ، ومع ذلك لم يتفقدنى أحد فى هذه الضعفة برغيف واحد ، ولا بجديد(٢) ، ولا بقطعة سكر ، فالحمد لله رب العالمين .

مات قريبا من عشرين وتسعمائة ، رضى الله عنه .

الشيخ شهاب الدين القسطلانى

ومنهم شيخنا الصالح الشيخ شهاب الدين القسطلانى . كان عالما صالحا ،حدثا قارئا ، وكان من أهل الانصاف . كل من رد عليه غلطا أو سهوا يزيد فيه محبسة وتعظيما . ولما طالعت شرحه للبخارى سألنى بالله ان انبهه على كل موضع وقفت فيه . ولما وضع شيخ الاسلام زكريا الأنصارى شرحا للبخارى اخبرته بذلك ، فسألنى ان أحضر معه لشرحه ، فكل شىء عدل عنه الشيخ زكريا من عبارته اكتبه له ، فكنت اجمع له فى كل جمعة عدة أوراق ، تارة يأتى فيأخذها ، وتارة يرسل عبده فاعطيها [له] .

وكان رضى الله عنه من ازهد الناس فى الدنيا ، وأحسنهم وجها ، طويل القامة ، حسن الشيب ، يقرأ القرآن بأربعة عشر رواية ، وكان صوته بالقرآن يبكى الناس ، وكان يقرأ فى المحراب(٣) فيتساقط الناس من الخشوع والبكاء .

واقام عند النبى ﷺ سنين ، فحصل له جذب ، فصنف له كتاب

---

(١) التخت : الفراش .

(٢) اى بثوب جديد .

(٣) فى ا ، ب : وكان فى قراءة المحراب .

« المواهب اللدنية »(١) لما صحا ، وأوقف خصيا على خدمة الحجرة النبوية ٠

مات رضى الله عنه فى شهر ربيع الأول قريبا من العشرين وتسعمائة هجرية ودفن فى المدرسة العينية ، قريبا من الجامع الأزهر ، رحمه الله تعالى ٠

الشيخ شهاب الدين السمنودى

ومنهم شيخنا الامام المحدث الخطيب بالجامع الأزهر ، الشيخ شهاب الدين السمنودى الشافعى رضى الله تعالى عنه ، كان عالما ورعا زاهدا ، لم يأكل من معلوم وظائفه الدينية ، وانما كان ينفقه على العيال ٠ ومرض مرة فلم يستتب فى الحضور ، فرد معلوم ذلك الشهر حين أتوه به ٠

وكان رضى الله عنه يقول : جهدت أن آكل من معلوم فلم يتيسر لى ، انما آكل من حيث لا أحتسب(٢) ٠

وانتهت اليه الرئاسة فى الفتوى مدة طويلة ، ثم انتقل الى المحلة الكبرى فاقام بجامع السد ، فلم يزل يفتى ويدرس فى العلم بها الى أن مات سنة احدى وعشرين وتسعمائة ، ودفن بمقبرة الشيخ الطريثى ٠

وكان لا يفتى أبدا فى الطلاق ويقول : انهم يتهاونون فى مسائل الطلاق خلاف الواقع ، فيعملون بفتياى بالباطل ، رضى الله عنه ٠

الشيخ شمس الدين الغزى

ومنهم شيخنا الامام العالم العلامة المفتى فى [العلم] الشرعية والعقلية الشيخ شمس الدين الغزى ، جعله السلطان الغورى اماما فى مدرسته بغير سؤال منه ، وقدمه على سائر علماء البلد الذين سألوا ٠

وكان مهابا لا يكاد أحد أن ينظر اليه الا ارتعد من هيبته ، وكانوا يحذرون الصبيان الذين يعرضون عليه محفوظاتهم ويقولون : لا تنظروا

---

(١) الكتاب مطبوع ، وشرحه الزرقانى فى ثمانى مجلدات ٠

(٢) فى الأصول : لم أحتسب ٠

المحـراب غريبا ، لا يكان المقتدون يملون من سـماعه ولو قرأ بنحـو حزب قرآن ٠

وكان رضى الله عنه يفتى ويدرس طول النهار على طهارة كاملة ، ولم يضبطوا عليه غيبة فى أحد من أقرانه ولا غيرهم ، سمعته مرة يقول : جميع أعمال العبد اذا قبلها تعالى يوم القيامة ربما لا يرضى بها ٠

الشيخ جمال الدين الصافى

ومنهم شيخنا الامام العالم العلامة المحقق الشيخ جمال الدين الصافى الشافعى ، المدرس والمفتى بالجامع الأزهر رضى الله عنه ٠ كان لم يزل يفتى ويدرس بالجامع الأزهر الى ان مات رحمة الله تعالى ٠ وتخرج عليه جماعة كثيرة ، وهو من اجلاء طلبة شيخنا شيخ الاسلام زكريا رضى الله عنه ٠

وكان رضى الله عنه قوالا بالمعروف ، ناهيا عن المنكر ، يواجه بذلك الملوك فمن دونهم ، حتى أداة ذلك الى الحبس والضيق وهو مصمم على الحق ، رضى الله تعالى عنه ٠

الشـيخ امين الدين الامام بجامع الغمـرى

ومنهم الشيخ الامام العالم العلامة المحدث الفقيه المقرىء الأصولى النحـوى الصوفى الشـيخ امين الدين الامام بجامع الغمرى بالقاهرة رضى الله تعـالى عنـه ٠

كان زهـدا كريما ورعا ، واسطة خير للناس فى قضـاء الحوائج ، وكان يتفقد الأرامل والمسـاكين بالبر والاكرام ، وكان لا يدخل أحـد مصر من الأوليـاء والعلماء الا ورد عليه ويكرمه ويجله ، كسيدى محمد بن عنان ، وسيدى محمد المنير ، وسيدى محمد بن داود ، وسيدى ابو بكر الحديدى ، وسيدى محمد الشـناوى وسيدى عبد الحليم بن مصـلح ، وسيدى على ابن الجمال واضرابهم ٠ وهو أول من اخـذت عليه الفقه والحديث والتفسير والأصـول والنحو والسند وكتب الحديث ٠

وكان رضى الله عنه كثير العبادة والكشف والكرامات والاعتقاد التام من الخاص والعام ، وكان وقته محفوظا من تضييعه فيما لا يعنيه ، لا تكاد تجده قط فى ليل ولا نهار الا فى طاعة الله ·

ومما رأيته له من الكرامات اننى كنت اقرأ عليه فى شرح البخارى للقسطلانى ، باب جزاء الصيد ، فمررت [بقوله] : وفى التيتل عنز ، فقلت له : ما صفة التيتل ؟ فقال : ان شاء الله تراه فى هذا الوقت · فما مضى درجة الا والتيتل خارج من حائط ، حتى وضع فمه على كتفى ، فرأيته ، ثم خرج التيتل من باب جامع الغمرى والناس ينتظرون الصلاة · قلت لجماعة كانوا هناك : ارأيتم التيتل الذى خرج من المحراب ؟ فأنكروا ذلك وضحكوا ، فقصصت عليهم القصة مع الشيخ · فقالوا : هذه كرامة له ·

وكان يقرأ بالسبع فى المحراب بصوت ما سمع السامعون بمصر مثله · ولما ورد عليه أخو السلطان سليم الى مصر طلبوا له اماما يأتم به ، فاتفق أهل مصر على الشيخ أمين الدين ، فشاروا السلطان الغورى عليه فأجازه بذلك ، الى أن رجع الى الروم ، وسمع قراءته فى صلاة الصبح نصرانى من مباشرى القلعة فأسلم ، ورضى قلبه بالاسلام من حسن صوت الشيخ ، ورأيته يصلى خلفه الى أن مات ·

وكان الشيخ ابو العباس الغمرى يقول : جامعنا هذا جنة ، وروحه الشيخ أمين الدين ، ومكث الشيخ اماما فيه سبعا وخمسين سنة ما ضبطوا ان الوقت دخل وهو على غير طهر ، وما ضبطوا عليه انه نام عن قيام الليل فى صيف ، ولا شتاء ·

ورأيت جماعة من الخراطين بالقرب من الجامع الأزهر يأتون وقت الصبح يصلون خلفه ، وكان يقرأ بالأنغام المختلفة فى الصلاة لا يتكلفها · وكان جماعة السلطان الغورى الذين ينشدون عنده يأتون اليه فيتعلمون ، وكان اذا مرض يتكلف الوضوء ، فرأيته ليلة توفى يزحف الى ميضأة الجامع

وتوضأ ، فغلب عليه المرض فوقع فى الميضأة بثيابه وعمامته ، فطلع وثيابه تقطر ماء فأحرم بالناس صلاة المغرب ، وصلى بهم كذلك ولم يترك صلاة المغرب ، ثم مات بعد صلاة العشاء تلك الليلة ، رضى الله تعالى عنه ٠

وكان ملبسه الثياب الزرق ، والعمامة القطن من غير قصارة ، وله هيبة تؤثر فى القلوب ، ومع ذلك فى غاية التواضع مع العميان والأرامل والمساكين ويقضى حاجتهم من السوق ، ويحمل الخبز عن رأسه من الفرق ، ولا يمكن احدا [أن] يحمل ذلك عنه ٠ وكان كل من رآه من الأكابر وهو حامل الطبق ينزل من على الفرس ويقبل يده ، ويسايره ، ولا يقدر على الركوب حتى يفارقه الشيخ ٠ وكان يجمع الزكاة ويفرقها على المحاويج ، حتى يرسل لأهلى صريراث الى بلاد الريف ، ولم يأكل منها شيئا ، وكان اذا مقت انسانا لا يفلح بعدها أبدا ٠ مقت نحو سبعة عشر نفسا فرأوا فى انفسهم العبر ، ولم يفلحوا الا فى أعمال الدنيا ولا فى أعمال الآخرة ٠

وكان كل يوم يفت الخبز اليانس وبسقيه بالشربة ، ويجمع العميان والأيتام ويتغذى معهم ولا يأكل وحده الا لضرورة ٠ وكان اذا قل المرق عن تسقية الخبز يصب عليه من الابريق ماء ، ويأكله ، ومناقبه رضى الله عنه كثيرة مشهورة ٠

مات رضى الله عنه فى ذى القعدة الحرام سنة تسع وعشرين وتسعمائة ودفن بتربته خارج باب النصر رضى الله عنه ، ورأيته بعد موته روى لى حديثا بالسريانية ، ففهمت معناه ، وهو قوله : روى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « من واظب على النوم بعد صلاة الصبح ابتلاه الله تعالى بوجع الجنب » ، وكان بى وجع الجنب قبل ذلك ، وما كنت اعرف سببه ، فتركت النوم بعد الصبح فزال عنى الوجع مع أنى ما كنت

انام بعد صلاة الصبح الا يوم الجمعة لكونها ليلة سهر من العشاء الى الفجر .

ورايته مرة أخرى ثانى ليلة من دفنه ، وجبهته تقطر دما حتى ظهر لونه من الكفن ، فقلت ذلك لولد ابنة الشيخ سيدى « أبو اللطف » فقال : رؤياك صحيحة ، فانا لما انزلناه القبر صدم جبهته حجر فخرج منه الدم رضى الله تعالى عنه والى وقتى هذا ما كنه فى شدة الا ورايته فى منامى وحصل لى الفرج ، والحمد لله رب العالمين .

الشيخ نور الدين السمهودى

ومنهم العلامة الشيخ الصالح نور الدين السمهودى الضرير ، الامام بالجامع الأقمر رضى الله عنه قرات علينا كتبا فى النحو والفقه والحديث . وكان الخلائق مقبلين عليه ، لا تقوم طائفة الا وتدخل عليه اخرى ، حتى أن بعضهم اكمل درسه على السراج .

والف عدة كتب فى القراءات وفى النحو ، ونظم الأجرومية على روى الشاطبية وشرحها . ورايته مرات ياكل والناس يقرءون عليه ، لا يجد وقتا خاليا للأكل لكثرة اشتغال الناس عليه .

وكان له فروة كبش مغشاة بثوب طرح يلبسها صيفا وشتاء وكانت عمامته من غليظ المحلاوى ، يغسلها مرة فى السنة .

وكنت اذا دخلت عليه فى بيته تذكرت احوال السلف ، ليس فيه طرقة ، ولا صندوق ، ولا شىء من أمتعة الدنيا ، وكان كثير الصمت والخشية لله تعالى ، ولا تزال عيناه تهملان الدموع .

وكان رضى الله عنه : ما بقى للفقيه فى هذا الزمان أحسن من الوحدة ، وعدم التردد للناس ، وما دام الناس عنه غافلون فهو بخير والفتنة كلها فى الشهرة وكان يديم التدفى بالنار فى الشتاء حتى صارت أوراكه مسودة من ذلك ، وطلبوا شيئا فقال : مالى وللدنيا وما بقى الا القليل ونقدم على الله تعالى ، وننسى كل مؤثر فى الدنيا . مات رضى الله عنه سنة ثلاث وتسعمائة رضى الله عنه .

الشـيخ ملا على العجمى

ومنهم الشيخ الصالح العلامة المفتى فى العلوم العلامة الشيخ ملا على العجمى الذى كان مقيما بتربة نائب جـدة خارج باب القرافة ، رضى الله عنه ، كان اماما فى الفقه ، والتفسـير ، والمعقولات ، والتصوف • قرأت عليه عدة كتب ، وانتفعت بصحبته •

وكان كثير الأدب والحياء ، كثير الصمت ، لا يكاد يتكلم كلمة واحدة الا ان كلمة أحد ، وكنت أشبهه بسيدى على المرصفى رضى الله عنه فى الهيبة والوقار وكان حسن الاعتقاد تابعا هـدى أهل السنة والجماعة ، محبا لجميع الصحابة ، عابدا ناسكا خاشعا خائفا ، مجلسـه كله مجلس علم وادب ، وحيـاء ووقار ، ويجيب على الأئمة المخالفين لامام مذهبه بأحسـن جـواب •

مات رضى الله عنه فى محل اقامته خارج القرافة ، وكانت جنازته مشـهودة رضى الله عنـه •

الشـيخ بدر الدين المشهدى

ومنهم الشيخ العلامة المحدث الفقيه الصوفى الشـيخ بدر الدين المشهدى رضى الله عنه كان عالمـا صالحا كثير العبادة ، من صيام وقيام وكف لسـان ، محبا للخمول وعدم نشر الصيت اذا رآى أحد يقرأ عليه فتح له ، والا اغلق باب داره ، فقلت له يوما : ما أصبرك على الوحدة يا سيدى ! فقال : من كان مجالسـا لله تعالى فما ثم وحده ، وقد جاوزت الأربعين سنة وما بقى يناسبنا الا الجـد والاجتهاد وعـدم الغفلة عن الله تعـالى ، ثم قال لى : هكذا أدركنـا الأشـياخ خلاف ما عليه أهل هـذا الزمان ، فيعلم أحدهم بعض المسـائل ، فيودون لو عرف بهـا جميع أهـل الأرض •

ثم قال لى : يا ولـدى والله انى الآن فى غم شـديد لفقد تلك

الأشياخ . كانت رؤيتهم عبادة(١) . وكان رضى الله عنه يقول : مدح الناس للعبد قبل مجاوزة الصراط كله غرور فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

الشيخ نور الدين المحلى

ومنهم الشيخ العالم العلامة محقق الديار المصرية الشيخ نور الدين المحلى الشافعى رضى الله تعالى عنه ، كان كالجبل الراسى فى كمال العقل والهيبة والوقار ، غزير الدمعة اذا ذكرت أحوال السلف ، وكان مشهورا فى مصر بحل مشكلات العبادات فى الأصول والفقه والمعانى والبيان وغير ذلك . وتفقه عليه خلائق لا يحصون . منهم الشيخ شهاب الدين عميرة ، والشيخ عبد الحميد السمهودى رضى الله عنهما .

لم يزل على نعت الاستقامة من الزهد فى الدنيا والاعتقاد الحسن فى طائفة الصوفية ، عكس ما كان عليه شيخه برهان الدين البقاعى ، وأخبرنى مرة شيخه فقال لى : يا ولدى ، انما أنكر على هؤلاء القوم خوفا على الناس أن تتلف عقائدهم بعدم سلوكهم الطريق ، وتعذر معرفة كل [أحد] باصطلاحهم فى ألفاظهم ، فرأيت التنفير عن كلامهم أحسن للناس وأصلح ، والا فأنا بحمد الله معتقد فى الشيخ محيى الدين بن عربى وسيدى عمر بن الفارض ، وبتقدير عدم الاعتقاد فيهما ، فانما أنكرت على العبارة التى نسبت اليهما(٢) ، وقد لا يكون ذلك كلامهما ، وقد دس الملاحدة شيئا كثيرا فى كلام الأئمة بغير علمهم .

---

(١) لأن رؤيتهم تذكر الانسان بالله ، وترده اليه ، فمن ثم كانت عبادة .

(٢) وهى بالطبع العبارات الموهمة للحلول . أنظر آراء العلماء فى هذه العبارات فى مقدمة كتاب العبادلة للشيخ الأكبر نشر مكتبة القاهرة بالأزهر .

ولما وقعت المحنة امام السلطان الغورى فى أمر الرجل الذى اعترف بالزنائم اختلف القضاة الأربعة ، أرسل يسأله أن يتولى قاضى القضاة فى مذهب الامام الشافعى بغير سؤال ، عبس فى وجه قاصد السلطان وقال : قل للسلطان : ان كان على المحلى ضيق عليك فهو يرحل عنك الى التكرور ، ولم يجب السلطان الى ذلك رضى الله تعالى عنه .

الشيخ شهاب الدين المسيرى

ومنهم الشيخ الامام العالم الزاهد الصالح الشيخ شهاب الدين المسيرى الشافعى رضى الله عنه ، كان جبلا راسخا فى العلوم الشرعية والعقلية ، وهو مع ذلك لا يغفل عن قضاء حوائج الناس عند الأمراء والأكابر ، وكانوا كلهم منقادين له لعفته وزهده فيما بأيديهم ، فكم أطعم جائعا ، وكم كسى عريانا ، وكم وزن مهر فقير ، وكم أوفى دينا .

وكان كثيرا ما يأتيه الفقير يسأله الشفاعة وهو يدرس ، فيترك الدرس ويقوم معه ويقول : هذه ضرورة ناجزة ، وضرورة الحاجة الى هذا العلم متراخية ، وقد لا يحتاج احد الى تلك المسائل التى نبحث فيها .

وكان رضى الله عنه قواما بالليل صواما بالنهار ، رث الهيئة فى الثياب ، مع الهيبة والوقار ، صغير العمامة على قبع(١) جوخ ، لاتكاد تجده ليلا ولا نهارا الا مشغولا فى مصالح غيره حتى [صار] سداه ولحمته خيرا رضى الله عنه .

الشيخ أبو النجا الفوى

ومنهم الشيخ الامام الفقيه المحدث الصوفى المتفنن فى سائر العلوم التى بأيدى الناس أبو النجا الفوى رضى الله تعالى عنه صحبته سبعة ايام . كان جبلا راسخا فى علم القراءات والحديث والتفسير . وكان رضى الله عنه فى آخر درسه فى الجامع الأزهر ففسر من أول [سورة] الهمزة

---

(١) القبع : القلنسوة .

الى وجه الشيخ تذهلون عن حفظكم من هيبته . وكان رضى الله عنه فى الى آخـر القرآن ، وتكلم فى ذلك المجلس على اربعة عشر علما فى كل آية حتى بهر العقول ، حضره جميع المدرسين بالجامع الأزهر ، وكان ذلك آخر مجالسـه ، ثم سـافر الى بلاده فمات . وكان له القبول التـام عند الخاص والعام ، وكان كثير الكرامات .

اخبرنى سـبطه أن شخصا عمل كعك العيد فقال للشيخ : نريد شـيرجا ، فأرسل فملأ شـيرجا من البحر الذى تحت بلده فى مدينة فوه الى ان اكتفى وقال انى لمـا غرفت من البحر نظرت الى ألاناء وهـو يسيل من جوانبـه .

وكان اذا بلغ اهل مصر أن الشيخ وصلت مركبه الى سـاحل بولاق يذهبون اليه أفواجـا يتلقونه فرحا به كيوم العيد . وفى موته شـاع فى بلاده أنه القطب تلك الليلة ، فمكث فى القطبية دون الليلة ، فذلك كان هجير اصحابه فى جنازته « هـذه جنازة عاشق ليلة وصالة » ولم يزالوا على ذلك حتى دفن رضى الله تعالى عنه .

وكان كثير الكشف ، لا يكاد يخطر على جليسه سـؤال الا قال له : الزم الأدب . فان لا يتجزأ على مجالسته الا قليل من الناس .

قلت : واخذ عنه خلائق القوم . وكان اذا لقن انسانا يصير يسمع نطق الموجودات كلها والجمادات ، وكان لطيف المحاضرات ، لطيف المزاح ، يكـاد اذا سمع صوتا طيبا أن يذوب عشـقا ، وذلك من علامة القطب ، وله نظم شـائع كثير . نظم الروضة فى الفقه ، ونظم المنهاج ، وشرح المغنى لابن هشام فى ست مجلدات . وأكثر مؤلفاته فى التصوف . وله موشـحات غريبة منها :

أيهـــا النـــاموس يطلـــع كالقـــادوس
مـــلا وانـــدق روس دخـــان المشـــغل
ودقات الطبول وافعل لا تفعل تحير فيها العقول
ما اسـرع ما يعـزل واخرج عن ذلك يا حـزين

سطر ما فاتك على طول السنين

يـا عبـد القـدوس نقعـد وعبـوس
تحمـد للدبـوس وللمسـكين تـدوس

الى آخـر ما قال . ومناقبة كثيرة مشـهورة بقـوة . رضى الله تعـالى عنـه .

الشيخ نور الدين الجارحى

ومنهم الامام العالم العلامة المقرى المحدث الفقيه النحوى الشـيخ نور الدين الجارحى رضى الله عنه . كان قليل الضحك ، مهيب المنظر ، كثير الصمت قليل المخالطة للناس ، ليله ونهاره فى طاعة ربه ، وكان قد انفرد فى مصر بعلم القراءات وهو الشيخ نور الدين السمهودى . وكان يقرىء الأطفال تجاه جامع الغمرى . وكان اذا نظر الى الطفل يرعد من هيبته . وكان مذهب الامام الشافعى كله نصب عينيه ، وما دخل عليه وقت الا وهو على طهارة ، رضى الله عنه .

الشـيخ شهاب الدين بن عبد الكافى

ومنهم الشيخ الامام العالم العلامة القاضى شمس الدين بن عبد الكافى كان يقضى فى مجلسه خارج باب القدس ، والناس يقرءون عليه العلم ، وكان لا يأخذ على القضاء أجرا وكان طويلا سمينا ، ومحاشمه قدر بطيختين كبيرتين ، ومع ذلك كان يتوضأ لكل صلاة من الخمس . وكانت محاشمه دائما مشدودة بفوطة مربوطة فى وسـطه حتى يقدر على الاستنجاء . وكنت أستدل على دينه وكثرة تقواة بذلك ، فانى رأيت من كان بحالة ترك الصلاة والاستنجاء فى غالب أوقاته . رضى الله تعالى عنه .

وما سمعته مدة قراءتى عليه يذكر أحدا من أقرانه الذين يرون نفوسهم عليه الا بخير ، وكان كثير الصمت ، كثير الصـيام طلبا للهزال فيزيد سمنه ، وكان حلو المنطق ، جميل المعاشرة ، كريم النفس . رضى الله عنـه .

ومنهم الشيخ الامام العالم الصالح ، خاتمة المحققين بمصر والحجاز والشـام الشيخ شـهاب الدين الرملى الشافعى الأنصـارى رضى الله عنه ، وبلده صغيرة قريبا من البحر من منية العطار تجاه مسجد الخضر عليه السـلام بالمنوفية ·

وكان رضى الله عنه ورعا زاهدا عالمـا صالحا حسن الاعتقاد للخلق ، لا سيما طائفة الصوفية ، يجيب عن أقوالهم بأحسن الأجوبة ، ويذكر عنهم المستظرفات من الحكايات · انتهت اليه الرياسة فى العلوم الشرعية ، وعاش حتى صـار علماء الشافعية بمصر كلهم تلامذته ، فلا يوجد الآن عالم شـافعى الا وهو من طلبته ، أو طلبة طلبته · وارسلت اليه الأسئلة من سـائر الأقطار ، ووقف الناس عند قوله أكثر ممن أدركناهم من أشياخه وكان يخدم نفسـه ، ولا يمكن أحدا يشترى له حاجة من السـوق الى أن كبر وعجـز ·

وكان جميع علماء مصر حتى المجاذيب يعظمونه ويجلونه ، لا سيما الشيخ نور الدين المرصفى ، وسيدى على الخواص رضى الله تعالى عنهما ورأيت مرة سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه وهو يقول : شكر الله فضلكم · فقلت له : ما سبب ذلك ؟ فقال : انه سمع شخصا من اخوانه يذكرنى بعد موتى بسـوء فعادة من أجلى · فقلت له : وهل يبلغكم ما يفعله الناس بعد موتكم ؟ فقال : نعم(١) · فقلت ذلك للشيخ شهاب ، فقال لى : أمارته صحيحة ، وعلق لى ذلك الشخص ·

ومن خصائصه أن شيخ الاسـلام زكريا أذن له أن يصلح فى مؤلفاته فى حياته وبعد مماته ، ولم يأذن لأحـد سـواه فى ذلك · واصلح عدة

---

(١) ليست الروح محصورة فى عالم من العوالم ، بل هى مطلقة ، ولا سيما أرواح الصالحين ، فلا مانع مطلقا من صحة هذا القول ·

مواضع فى شرح البهجة وشرح الروضة فى حياة شيخ الاسـلام ، وانا حاضر لم أطالع له ، ويقول من رآه : ما رايت مثله .

وشرح كتـاب الزبد فى الفقه شرحا عظيما ، وكتبوه وقراوه عليه . جمع مؤلفاته غالب ترجيحاته وتحريراته . وجمع الخطيب فتاويه فصارت مجلدا . وكان يقول : الشيخ نور الدين الطندتاوى محقق الدرس ، والشيخ شمس الدين الخطيب جامع المسـائل النوادر فى الدرس . وسمعت هـذا القول منه مرارا .

وكان رضى الله عنه يحبنى أشـد المحبة ، محبة السيد لعبده ، وحصل لى مرة مرض أشرفت فيه على الموت ، وجاءنى عائدا هو وولده سيدى محمد ، فصار الشيخ يدعو وولده يؤمن ، وأنا اشهد دعاء الشيخ صاعدا الى السماء كالصواعق من شـدة الهمة والعزم ، فما فارقنى حتى خلصت من ذلك المرض .

مات رضى الله عنه مستهل جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وتسعمائة ، وصلوا عليه يوم الجمعة فى جامع الأزهر . وما رايت فى عمرى جنـازة اجتمع فيها خلائق مثل جنازته ، وضاق الجامع من صلاة الناس فيه ذلك اليوم ، حتى ان بعضهم خرج وصلى فى غيره ، ثم رجع للجنازة قريبـا من جامع الميدان ، خارج باب القنطرة ، واظلمت مصر وقراها يوم موته ، لكونه كان مردا للعلماء فى تحرير نقول المذهب .

وانما ختمنا هـذا الباب به لتاخير وفاته عمن ذكر قبله ، والا فهو أعلم فى اعتقادنا من جميع اقرانه . رضى الله تعالى عنه .

الفصل الثانى

في ذكر جماعة ممن ادركناهم وحظينا بصحبتهم ، من غير ان نقرأ
عليهم شيئا من العلوم . اما لا ستغنائنا عن القراءة عليهم
بالقراءة على مشايخهم ، واما لكونهم مخالفين لنا فى
المذهب ، لكنا كنا نراجعهم فى وقائع الأحوال
رضى الله تعالى عنهم أجمعين

الشيخ جلال الدين بن القاسم

فمنهم شيخ الاسلام العالم العامل ، الورع الزاهد ، الشيخ جلال الدين بن القاسم المالكى رضى الله تعالى عنه . صحبته سنتين ، وترددت عليه كثيرا ، وانتفعت بلحظه وحسن سمته . وكان كثير المراقبة لله تعالى فى احواله . وكانت اوقاته كلها معمورة بذكر الله عز وجل .

شرح المختصر والرسالة(١) ، وانتفع به خلائق لا يحصون . ولاه السلطان الغورى القضاء ،كرها . وكان حسن الاعتقاد فى طائفة القوم . ولما انكر الشيخ محمد التكرورى المالكى على سيدى عمر بن الفارض قال له : يا محمد ، مالك وللسم تجربه فى نفسك(٢) . فلم يرجع عن انكاره ، فما مضى ثلاثة أيام الا وفر الناس من ذلك التكرورى ، ولم يعد احد يقرأ عليه علما .

وكان يحفظ مدونة [مذهب] الامام مالك وشرح مذهبه عن ظهر قلب ، واقبل عليه اهل مصر اقبالا عظيما قبل انكاره ، ثم خرج الى بلاده فقتل فى الطريق .

---

(١) يعنى مختصر خليل ورسالة ابى زيد القيروانى فى فقه المالكية .

(٢) لأن لحوم العلماء مسمومة كما يقولون . ما اغتابهم أحد الا اصيب على الفور .

وكان الشيخ جلال الدين اكثر أيامه صائما ، لا يفطر فى السنة الا العيدين وأيام التشريق وكان حافظا لسانه فى حق أقرانه ، لا يسمع أحد يذكرهم الا ويجلهم ويقول : نفعنا الله تعالى ببركتهم · رضى الله تعالى عنه ·

الشيخ نور الدين الطرابلسى

ومنهم شيخ الاسلام المجمع على صلاحه وعلمه وزهده وصيامه وضبط لسانه ، الشيخ نور الدين الطرابلسى · كان متفننا فى العلوم ، وكتب لى على عدة من مؤلفاتى ، وزارنى كثيرا فى بيتى لما انقطع عنه لعذر ، فكنت أكاد أذوب من الحياء منه ·

وكان رضى الله عنه متواضعا حسن الظن بالمسلمين ، وكان يؤذن فى شباك زاويته عند كل وقت من الخمس بصوت حسن وخشوع وتدبر أيام ولايته الى ان مات · وكان لا ياكل قط من معلوم محكمته شيئا مع انه ولى كرها · وكان كثير الصدقة سرا وجهرا ·

ولما عزله بعض قضاة العساكر لم يزل ملازما بيته على النسك والعبادة والافتاء · والتدريس الى أن مات ·

وأنكر عليه بعض قضاة الأروام لافتائه بمذهبه الراجح عنده ، وكاتبوا فيه السلطان فأمر بنفيه أو قتله ، فوصل المرسوم بعد موته ، بعد أن دفناه ، فكانت هذه كرامة رضى الله تعالى عنه ·

ولما اشتدت المحنة عليه قبل موته بثلاثة أيام رأيت فى المنام لوحا نزل من السماء فى سلسلة تجاه بيت الشيخ محب الدين بن الدهانة · مكتوب فيه أيدنا الشيخ على الطرابلسى بالشيخ محب الدين بن الدهانة · فكان الأمر كذلك ، وحصل على يديه الفرج والسرور رضى الله تعالى عنه ·

الشيخ شمس الدين الحنفى

ومنهم سيدنا ومولانا شيخ الاسلام الشيخ شمس الدين الحنفى السرسى رضى الله تعالى عنه · صحبته بنحو عشرين سنة فما أظن كاتب الشمال كتب عليه شيئا ، وكان رضى الله عنه لا يكاد يسمع منه كلمة لغو ·

وأخبرنى رضى الله عنه أنه صلى الصبح بوضوء العتمة اربعين سنة · وأخبرنى جماعة كان يقرؤون عليه ان من كراماته أن الله يأخذ سمعه اذا كلمه احد بغيبة أو كلام فاحش حتى كأنه اصم(١) · وهذا حفظ من الله العظيم ما سمعناه الا عن سيدى محمد بن زين بالنحارية رضى الله عنه ·

وكان عالما بالقراءات السبع · ولاه السلطان الغورى مشيخة الاسلام كرها عليه · وكان عامة ليلة فى بكاء ومراقبة وتهجد الى الصباح، فيكحل عينيه ، ويدهن وجهه حتى كأنه بات ليله نائما · وشرح كتاب المختار شرحا عظيما ، وسافر الى مكة المكرمة فمات بها رضى الله تعالى عنه ·

الشيخ شمس الدين التناوى

ومنهم الشيخ الامام العلامة شمس الدين التناوى المالكى رضى الله عنه المقيم فى المدرسة الشيخونية · شرح الرسالة شرحا عظيما ، وشرح عدة كتب ، لم يزل على قدم الزهد والورع ومحبة الخمول(٢) وعدم التردد على الأكابر الى ان مات · وكان وقته كله معمورا بالعلم والعمل والأوراد ، ما زرته قط الا ورأيته مشغولا بالله عز وجل ·

---

(١) مثل ذلك حدث للحارث المحاسبى رضى الله عنه اذا كان فى يده عرق يضرب اذا قدم اليه طعام مشكوك فى حله ·

(٢) يعنى عدم الشهرة ·

واخبرنى جماعة من الصوفية من جيرانه انه لا ينـام من الليل الا قليلا على الدوام ، وكان كثير الصيام ، وكان لا ياكل لأحد من الظلمة وأعوانهم شيئا ٠ واجمع الناس على جلالته وتحريره لنقول مذهبه ، وحفظ جوارحه الظاهرة والباطنة رضى الله تعالى عنه ٠

الشيخ شهاب الدين بن الحلبى

ومنهم الشيخ الامام العالم الصالح الناسك الزاهد المجمع على جلالته الشيخ شهاب الدين بن الحلبى الحفنى رضى الله تعالى عنه ٠ كان على جانب عظيم من الخشية والخوف من الله عز وجل ، وحلف لا يأتينى للزيارة الا ماشـيا ووفى بذلك الى أن مات ٠

وكان كثير الصدقة على الفقراء والمسـاكين ، لم يكن فى اقرانه اكثر صدقة منه ، وكان حسـن الاعتقاد فى طائفة الفقراء والمجاذيب وارباب الأحوال كثير الحيـاء والحلم والعفو والصفح ، لا يواجه أحـدا بما يكره ولو فعل معه ما فعل ٠ ورأى مرة شخصا يشتم آخر ٠ فوقف وقال : يا اخى تأدب مع الملكين الكاتبين ٠ ايسرك أن تلقى يوم القيامة هـذه الالفاظ فى صحيفتك ؟ فاستغفر الشخص وقبل يد الشيخ ٠

وزرت انا وإياه رأس الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهما وكان عنده شـك أن الراس هناك ٠ فلما اخذ الشيخ فى التوجه الى حضرة الامام الحسين رآه مقطوع الراس فقال : يا امام ، اين رأسك ؟ فسمع الصوت من داخله يقول : ان رأسى فى مصر ، وعمر عليها طلائع بن رزيك مسجدا عظيما ٠

فأفاق من التوجه ، واخبرنى بالقصة ، ثم ثقلت رأس الشيخ ٠ فبينما هو بين النائم واليقظان اذا رأى (الامام)(١) ٠ الحسين خرج من الضريح ، ودخل حائط القبة ، وصار يمشى ، ونظر الشيخ يتبعه إلى

---

(١) سقطت من أ ٠

ان دخل الحجرة النبوية الشريفة فقال : يا رسول الله ، ان احمد بن الحلبى وعبد الوهاب الشعرانى يزوران راس الحسين . فقال رسول الله ﷺ : تقبل الله منهما . ثم افاق الشيخ فتواجد فوقعت عمامته وقال : قد تحققت ان راس الامام ههنا ، وما زال يزورها الى ان مات رضى الله عنه(١) .

وكتب على عدة من مؤلفاتى احسن كتابه ، وراى فى كتابى «العهود» موضعا لم يفهمه فأراد ان يصلحه فنام فسمع قائلا يقول له : ان اصلحت فى هذا الكتاب شيئا سلبناك الايمان ، فجاءنى بكرة النهار وهو يرعد ، وحكى لى القصة ، فقلت : مراد القائل : سلب ايمانك بصدق عبد الوهاب ، وهذا أمر لم يكلفك الله به ، فقال : فرجت عنى فرج الله تعالى عنك كرب يوم القيامة ، ثم قلت له : مرادى بهذا الكلام كذا وكذا . فكشف راسه واستغفر وقال : أنا جاهل بمصطلح القوم .

وكان مرضه الذى مات فيه حصر البول ، فلم يزل الى أن مات . وكانت جنازته حافلة بالأمراء والعلماء والتجار والقضاة حتى ما وجد أحد فى باب النصر مكانا خاليا من الناس ، ودفن خارج باب النصر ، تجاه المدرسة الحاجبية ، وقبره ظاهر يزار ، رضى الله عنه ، ونفعنا ببركاته فى الدنيا والآخرة .

الشيخ شهاب الدين البرلسى

ومنهم الامام العلامة المحقق الشيخ شهاب الدين البرلسى ، الملقب بعميرة الشافعى ، رضى الله عنه صحبته نحو عشرين سنة ، وكان عالما زاهدا حسن الأخلاق والشيم ، له سمت حسن ، وانتهت اليه الرياسة

---

(١) مثل هذه المشاهد فى حالة التوجيه تكون قلبية قريبة من اليقين المحسوس أما فى حالة الفهوانية الثانية فهى رؤيا فى عالم المثال تتوقف صحتها على صفاء القلب .

فى تحقيق المذهب ، ولم يزل يدرس ويفتى الناس حتى مرض الموت ، وكان مرضـه بالفالج ، فأقام به نحو سنة ثم مات ٠

اخذ العلم عن جماعة منهم شيخ الاسلام الشيخ عبد الخالق السنباطى، ومنهم شيخ الاسـلام الشيخ برهان الدين بن أبى شريف ، ومنهم الشيخ نور الدين المحلى ، رضى الله تعالى عنهم أجمعين ، وكتب على مؤلفاتى احسن كتابه ، رضى الله تعالى عنه ٠

الشـيخ محمد الشـامى

ومنهم الشيخ الصالح الزاهد المتمسك بالسنة ، الشيخ محمد الشامى ، نزيل تربه البرقوقية ، رضى الله عنه ٠ كان عالمـا صالحا متفننا فى العلوم ، والف السيرة النبوية المشهورة التى جمعها من الف كتاب ، واقبل الناس على كتابتها ، ومشى على نموذج لم يسبق اليه ٠

وكان عزبا لم يتزوج قط ، وكان رضى الله عنه اذا قدم عليه الضيف يعلق القدر ويطبخ له ، وكان حلو المنطق ، مهيب المنظر ، كثير الصيام والقيام ، بت عنده الليالى فما كنت أراه ينام فى الليل الا قليلا ٠

وكان اذا مات احد من طلبة العلم وخلف أولادا قاصرين وله وظائف، يذهب الى القاضى ، ويتقرر فيها ، ويباشرها ، ويعطى معلومها للأيتام حتى يصلحوا للمباشرة ٠

وكان لا يقبل من مال الولاة واعوانهم شـيئا ، ولا يأكل من طعامهم، وذكر لى شخص من الذين يحضرون قراءة سـيرته فى جامع الغمرى أن ساله فى اختصار السـيرة ، وترك الفاظ غريبها ، وان يحكى السيرة على وجهها كما فعل ابن سيد الناس ، فرايته بين القصرين ، واخبرته الخبر ، فقال : شرعت فى اختصارها من مدة يومين ، فرايت ذلك هو الوقت الذى سالنى فيه ذلك الرجل وكانت عمامته نحو سبعة أذرع على عرقية لم يزل غاضا طرفه كما هو سـواء كان ماشـيا أو جالسـا ، رضى الله عنه ، واخلاقه الحسنة كثيرة مشهورة ٠

الشـيخ عبد الرحمن الشـامى

ومنهم الشيخ العالم الفقيه النحوى الصوفى عبد الرحمن الشامى، المدرس بخانقاه سعيد السعداء . كان يتعمم بالصوف ، وله كشف تام ، وتحقيق فى العلوم الشرعية ، واقبلت الأمراء والاكابر عليه ، واعتقدوه اعتقادا تاما ، ورأيت مرة أمير كبير قد باس يديه وهو ماد رجليه .

الشـيخ فخر الدين السنباطى

ومنهم الشيخ الامام العـالم العلامة فخر الدين السنباطى الشافعى رضى الله تعـالى عنه .

كان عالمـا صالحـا ورعا عابدا زاهـدا ، ولمـا ضربوا القـانون على القضـاة عزل نفسـه من القضـاء . وكان يقضى فى بلاده قياما بفرض الكفاية ، لا يأخـذ على ذلك عوضـا . فقلت له : يتعين عليك ذلك ، فرجع وطلب الولاية .

وكان يفصل بين الخصمين ويغديهما ويعشيهما ، ويعلف دوابهما ، وبت عنده ليالى فما رأيته ينـام الليل الا قليلا ويبقى طول الليل قائما يتهجد ويتلو القرآن ويبكى حتى يكـاد يخر من البكاء ، وكان قليل الكلام حسن السمت ، أخذ العلوم عن جماعة منهم : الشيخ كمال الدين الطويل ، والشيخ برهان الدين بن أبى شريف ، والشيخ زكريا ، وصحب شيخنا محمد الشناوى ، وانتفع به رضى الله تعالى عنه .

الشيخ شمس الدين الترجمان

ومنهم الشيخ الامام العالم العامل المرابط الشيخ شمس الدين الترجمان رضى الله تعالى عنه ، كان رفيقا للشـيخ فخر الدين السنباطى ، والشيخ ناصر الدين الطبـلاوى ، أفتى ببلاده ودرس وانتفـع به خلائق كثيرة وكان آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، حتى أزال المنكرات ببلاده كلها ، وكان شيخا شجاعا راميا لا يكاد سهمه يخطىء ، وكان اذا جاء الى مصر يزورنى تفضـلا منه ، صـحبته نحو عشر سـنين ، الى أن مات رحمه الله تعـالى .

الشيخ شهاب الدين بن عبد الخالق

ومنهم الامام العلامة العامل الورع الزاهد الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر الشيخ شهاب الدين بن الشيخ عبد الخالق السنباطى ، الواعظ بجامع الأزهر رضى الله عنه ٠

لم يزل احد من الوعاظ يقبل عليه الخلائق مثله ٠ كان اذا نزل من فوق الكرسى يقتتل الناس عليه ، ومن لا يصل اليه يرمى شدة حتى يلمس ثيابه(١) ثم يأخذه فيمسح به وجهه ٠

وكان مفتيا فى العلوم الشرعية ، وله الباع الطويل فى الخلاف العالى(٢) ، ومعرفة مذاهب المجتهدين ، وكان من رؤوس اهل السنة والجماعة ، ومن نسبه الى ضد ذلك فقد افترى اثما عظيما ٠

طالع كتابى « العهود » (٣) من أوله الى آخره ، وأعجب به ، ونقل منه على الكرسى عدة عهود وأنا أسمع ، ولما رمانى بعض من لايخشى الله تعالى ببعض بهتان انتصر لى من فوق الكرسى ثلاث مجالس حتى رجع ذلك المفترى عنى ٠

ولما مات رضى الله تعالى عنه أظلمت مصر لموته ، وانهدم ركن عظيم فى الدين ، وكان الشيخ قد اشتهر فى أقطار الأرض كالشام والحجاز واليمن والروم وصاروا يضربون به المثل وأذعن له علماء مصر الخاص منهم والعام ، عمل الحسدة له مكائد عند نواب مصر ، ونجاه الله تعالى منهم ، وهدم كذا وكذا كنيسة ، وبيعة رضى الله تعالى عنه ٠

---

(١) اى ثوبا أو عمامة أو نحوها ٠

(٢) اى الخلاف بين الأئمة الأوائل ٠

(٣) يظهر انه يريد « البحر المورود فى المواثيق والعهود » لأنه هو الذى أحدث ضجة ، أما الأنوار القدسية فى العهود المحمدية فلم يحدث شيئا ٠

وما رأيت فى عمرى اكثر خلقا من جنازته الا جنازة الشيخ شهاب الدين الرملى لكونهم صلوا عليه يوم الجمعة ، رضى الله تعالى عنه .

الشيخ ابو الحسن البكرى

ومنهم الشيخ الفقيه الصوفى المحدث ، نادرة الزمان الشيخ ابو الحسن البكرى رضى الله عنه ، اخذ العلوم عن جماعة من مشايخ الاسلام ، والتصوف عن الشيخ رضى الدين الغزى ، وتبحر فى علوم الشريعة من تفسير وحديث وغير ذلك .

وكان رضى الله تعالى عنه اذا تكلم فى علم منها كانه بحر زاخر ، لا يكاد السامع يتحصل من كلامه على شىء ينقله عنه لوسعه الا ان كتبه فى قرطاس . واخبرنى بلفظه ونحن بالمطاف انه بلغ درجة الاجتهاد المطلق ، وقال : أنا اكتم ذلك عن الأقران خوفا من الفتنة ، وسبب ذلك كما وقع لجلال السيوطى رحمه الله تعالى ، هذا لفظه .

وكانت مدة اشتغاله على الأشياخ مدة سنتين ، ثم جاءه الفتح من الله تعالى واشتغل بالتاليف ، ولم يزل على ذلك الى ان مات ، وهو أول من حج فى محفة ثم تبعه الناس ، وقد عاشرته من حين كان بلا لحية ، فما رأيت عليه شيئا يشينه فى دينه ، بل تربى فى نزاهة وعفة وطاعة وعزة فى نفس اهل الدنيا ، لم يزل قط فى تحصيل معاشه لغيره ، بل كانت الدنيا تأتيه وهى راغمة ، وذلك كمال على كمال .

وحججت معه مرة فما رأيت اوسع اخلاقا منه ، ولا أكثر صدقة فى السر والعلانية ، فكان لا يعطى احدا شيئا نهارا الا نادرا ، واكثر صدقته ليلا ، وكان له الاقبال العظيم عند الخاص والعام فى مصر والحجاز وشاع ذكره فى اقطار الأرض كالشام والروم واليمن والتكرور والمغرب مع صغر سنه رضى الله تعالى عنه .

وكانت له كرامات كثيرة وخوارق وكشوفات فما قاله أو وعده لا يخطىء وترجمة الناس بالقطبية العظمى ، ويدل على ذلك ما اخبرنى

به الشيخ خليل الكشكاوى ، قال : رأيت الشيخ أبا الحسن البكرى رضى الله تعالى عنه وقد تطور فصار كعبة مكان الكعبة ، ولبس سترها كما يلبس الناس القميص ٠

وكان له النظم الشائع فى علم التوحيد ، وأطلعنى مرة على تائية عملها نحو خمسة آلاف بيت أوائل دخوله فى طريق القوم ، ثم غسلها وقال : ان أهل زماننا لا يحتملون سماعها ، لقلة صدقهم فى طلب الطريق، واوصافه الحسنة تضيق عنها الدفاتر ٠

مات رضى الله عنه سنة نيف وخمسين وتسعمائة ، ودفن بجوار الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه ، وكانت جنازته مشهورة ، وكان يحبنى كثيرا ٠ واخبرنى مرة بأنه يدعو لى فى سجوده ، ولما أشاع بعض الحسدة أنه يكرهنى أرسل الى ورقة بخطة يحلف فيها بالطلاق الثلاث من زوجته أنى عنده بمنزله ولده سيدى محمد ، وهى عندى بخطه الى الآن رحمه الله تعالى ٠ آمين ٠

الشيخ شهاب الدين الفتوحى

ومنهم شيخ الاسلام العالم الصالح ذو الأخلاق الحسنة والأوصاف النفيسة بقية السلف الصالح ، الشيخ شهاب الدين الفتوحى الحنبلى ، رضى الله تعالى عنه ٠

كان من العلماء العاملين ٠ ولاه السلطان الغورى القضاء كرها عليه، بعد ان قال للسلطان مرات : انا لا أصلح للقضاء ، وتولية مثلى لا تخلص ذمتك عند الله تعالى ٠

اقبل على العبادة آخر عمره ، وصار كانه لم يشتغل بعلم قط ، مع [انه] انتهت اليه الرئاسة فى تحقيق نقول مذهبه ، وفى علم السند فى الحديث ، وفى علم الطب والمعقولات ، رضى الله تعالى عنه ٠

وجاءه مرة شخص يريد أن يقرأ عليه شيئا من المنطق ، فقال له : يا ولدى قد صار الفقه ثقيلا على قلبى ، فما بالك بعلم أفتى بعض

العلماء بتحريم الاشتغال به . فقال : يا مولانا ، ان العبـادة عبادة . فقال : صحيح ، ولكن ما وجدنا فيه رقة قلب بخلاف الذكر والاستغفار ، مع أن فضل العلم على غيره مشروط بحصول الاخلاص فيه ، وما أظن .

وكان الشيخ رضى الله تعالى عنه فى أول عمره يفكر على طريق الصوفية ويقول : هل لله تعالى طريق أخرى تقرب اليه غير العلم الذى بأيدينا ، فلما جمعه الله على سيدى على الخواص اعترف لأهل الطريق بالفضل ، وقال : هؤلاء القوم قطعوا مقامنا وتعدوا الى ما وراءه ، وتأسف على عدم اجتماعه بالقوم ، رضى الله تعالى عنه .

ولما ارسلت اليه بكتاب الجواهر والدور الذى التقطته من مجالس سيدى على الخواص كتب عليه أحسن كتابة ، وقال لى بصريح لفظه : والله اننى طول عمرى أطالع فى كتب الشريعة ، فلم يخطر ببالى سؤال منه ولا جواب .

وأخبرنى أنه اشتكى الشيخ مرة للمحتسب حين كان الشيخ زياتا ، وضربه المحتسب وجرسه ، ثم سار يبكى ويقول : مثلى يشتكى أولياء الله تعالى ؟ ولم يزل قبر سيدى علي الخواص الى أن مات .

وقال لى مرة لما طالعت قول الشيخ على الخواص فى كتابه الجواهر والدرر : كل علم استفاده صاحبه من كلام غيره فليس بعلمه هو . ومن أراد أن يعلم مرتبته فى العلم الذى يبعث عليه يوم القيامة فليرد كل قول الى قائله ، وينظر بعد ذلك ، فما بقى معه فهو علمه الذى يبعث عليه . انتهى .

ولم يزل رضى الله عنه من حين على سيدى على الخواص يتردد الى ويقول : لا يجازيك عنى الا الله تعالى ، فانى كنت تائها عن طريق أولياء الله تعالى . وصار له كشف عظيم قبل موته ، وكاشفنى بما فى

سرى مرات ، فعرفت حينئذ قول الامام الشافعى رضى الله عنه : اذا لم يكن العلماء العاملون أولياء الله فليس لله ولى .

مات سنة نيف وعشرين وتسعمائة ، وهو آخر مشايخ الاسلام من أولاد العرب انقراضا ، فأسال الله أن يجمعنا عليه فى الآخرة ليأخذ بيدنا فى تلك الشدائد .

الشيخ سراج الدين العبادى

ومنهم الشيخ الامام العالم العلامة سراج الدين العبادى المقيم بالبرقوقية التى بالصحراء ، رضى الله تعالى عنه ، صحبته أربعين سنة فرأيته على قدم عظيم فى العبادة والزهد والورع والعلم ، من الخشية وضبط اللسان وسائر الجوارح من المخالفات ، حتى لا يكاد يتكلم الا نادرا لضرورة شرعية . وكانت تقول مذهب الشافعى نصب عينيه وشرح قواعد الزركشى شرحا عظيما فى مجلدين ، وأتى فيه بتحقيقات ونكت وقواعد .

أخذ رضى الله عنه العلم عن الشيخ سراج الدين العبادى الكبير ، وعن الشيخ شمس الدين الجوهرى ، وعن شيخ الاسلام يحيى المناوى وغيرهم ، وأجازوه بالافتاء والتدريس . وكان صاحب توجه عظيم كامل الى رسول الله ﷺ ، وكان مجاب الدعوة فيمن يؤذى أحدا من المسلمين .

ولما حج وزار قبر رسول الله ﷺ طلب من الخدام أن يفتحوا له باب مقصورته ﷺ فأبوا ، فلما كان الليل توجه الى النبى ﷺ وغالب الناس نيام ، ففتحت الأقفال بنفسها ودخل وزار ثم خرج وعادت الأقفال الى ما كانت عليه(١) .

توفى رضى الله تعالى عنه سنة نيف وأربعين وتسعمائة .

---

(١) لا حرج ولا تحجير على فضل الله ، فهذا وغيره من باب خرق العادة الجائز مع الصدق .

الشـيخ شـهاب الدين الصائغ

ومنهم الشـيخ الامام العالم الصالح الشيخ شـهاب الدين الصائغ الحنفى ، رضى الله تعالى عنه . كان حسن الخلق والشيم ، مهيب المنظر ، قليل الكلام ، كثير العبـادة فى الليل والنهار ، حلو اللسـان ، كثير التواضع ، قليل التردد للاكابر .

وكان عالمـا بالعلوم الشرعية والطبية ، فجمع طب الأبدان وطب الأديان ، ولم أر فى عصره من جمع بينهما سـوى الشيخ شـهاب الدين الفتوحى رضى الله عنه .

اخـذ العـلوم عن الشـيخ أمين الدين الأنصرائى ، وعن الشـيخ تقى الدين الشمنى ، وعن الكافيجى ا وعن شيخ الاسلام الأمشـاطى ، واجازه بالفتوى والتدريس ، وحضرت درسـه فى تفسـير البيضاوى ، فأبدى من نكته العجائب .

وكان يصبر على جفاء السـائل ، ويوجه السؤال ، وكان يحب الخمول ويقول أحب شىء الى أن ينسـانى الناس فلا يأتونى ولا آتيهم ، لقلة نفع الاجتماع الآن ، وما زاحم قط على شىء من وظائف العلماء ، وعرضوا عليه عدة وظائف فلم يقبلها ، رضى الله تعـالى عنه الى أن مات سنة نيف وثلاثين وتسعمائة .

الشـيخ شمس الدين اللقانى

ومنهم الشيخ الامام العالم العلامة المجمع على جلالته الشيخ شمس الدين اللقانى المـالكى رضى الله عنه ، كانت له مكاشفات عظيمة غريبة ، وكان كريما سخيا حافظا لنقول المذهب كأنها كلها نصب عينيه .

وكان يواجه الأكابر والأصاغر بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لا يخاف فى الله لومة لائم ، وكان لا يبيت على درهم ولا دينار .

واخبرنى من أثق به من طلبته أن شخصا أعطاه سبعة عشر دينارا ، وهو فى الدرس ، فقال : الهدية لمن حضر ، ففرقها على الطلبة ، فأصاب

كل واحد دينارا ، وفضل دينارا ، فارسل الى السوق واشترى به موزا وحلوى وجمعهم عليه فاكلوا وانبسطوا ، وقال مباسطا لهم : السلطان اذا لم ينفق على عسكره خرجوا من طاعته ، وعصوا امره ، ولو ان اهل العلم فعلوا كما فعلت لعكف عليهم وحملوا عنهم العلم ، ونفعوا الناس وانفسهم وشيخهم ، رضى الله تعالى عنه ٠

وكان رضى الله تعالى عنه حزين القلب ، كثير البكاء والخشية لله تعالى ، وكان رضى الله تعالى عنه اذا سمع احدا يذكر شيئا من احوال يوم القيامة يمكث الأيام لا ينتفع به احد من أمر الدنيا ٠

وقرا عليه مرة شخص شيئا من تذكرة القرطبى واحوال الموتى ، فمرض خمسين يوما ، وكان رضي الله عنه كثيرا ما يغلب عليه التعظيم لله عز وجل ، فيذهل عن نفسه ، وربما خرج من الجامع الأزهر ، فلا يهتدى الى بيته فيأخذ الأطفال بيده فيوصلوه الى بيته ٠

ومناقبه كثيرة مشهورة بين طلبته وغيرهم صحبته نحو ثلاثين سنة وانتفعت بلحظه ، فأسأل الله ان يحشرنا فى زمرته آمين ٠

الشيخ ناصر الدين اللقانى

ومنهم الشيخ الامام العلامة المجمع على جلالته الورع الزاهد الشيخ ناصر الدين اللقانى المالكى رضى الله تعالى عنه ، وهو أخوه ، انتهت اليه الرئاسة بعد اخيه الشيخ شمس الدين فى العلم والعمل والتحقيق والوقوف عند قوله ٠ جاءته الأسئلة من بلاد المغرب والتكرور واليمن والحجاز والشام والروم ، وتخرج به جماعة مذهبه الموجودون الآن ، فلا يوجد مالكى الا وهو من طلبته أو طلبة طلبته ٠

وكان رضى الله عنه من أعظم الناس اعتقادا فى طائفة القوم ، وما دخلت عليه قط وهو جالس على فروته الا قام واجلسنى عليها وجلس على الأرض ، واظن أن تلامذة طلبته لا تفعل ذلك مع مثلى ٠

ولما دس بعض الحسدة على كتابى العهود وغيره مسائل خارجة

عن ظاهر(١) الشريعة أجاب عنى على تقدير صحتها(٢) بأحسن جواب (٣) ٠

ثم انى اجتمعت به واخبرته أن تلك المسائل مدسوسة ، واطلعته على النسخة التى عليها خطه(٤) ، ففرح بذلك أشد الفرح ٠

وكان رضى الله تعالى عنه يقول : ما نصحتكم لأمر دنيوى ، وانما نصحتكم لتأخذوا بيدنا فى يوم القيامة ٠

ولما رد الشيخ محمد التونسى فتواه فى حادثة رأيت تلك الليلة الشيخ ياقوت العرشى وهو يقول للشيخ محمد التونسى : مالك ولشيخ المذهب ترد عليه بغير علم ، وزجره أشد الزجر ، فشهد له بأنه شيخ المذهب ٠

وزرته مرة فوقفت على الباب وأنا ساكت لم ادق عليه الباب أدبا معه ، فخرج وهو مذعور وقال : قد سمعت قعقعة سقف القاعة وحيطانها ، حتى خفت من أنها تنطبق على ، ثم صار يحكى ذلك لجماعته ٠ ووالله انى لم أتوجه الى الله تعالى فيما وقع ، وانما ذلك أمر من الله تعالى ابتداء ٠

مات رضى الله تعالى عنه سنة ثمان وخمسين وتسعمائة رحمة الله تعالى عليه ٠

---

(١) من هنا يتأكد لنا أن ما هو مخالف لظاهر الشريعة فى الطبقات الكبرى وغيرها مدسوس على الامام الشعرانى رضى الله عنه ٠ وهذا اعتراف منه بذلك ٠

(٢) فى الأصول : بتقدير ٠

(٣) وعلى هذا يحمل جواب شيخ الاسلام زكريا الأنصارى عن بعض المسائل الخارجة عن ظاهر الشريعة فى الطبقات الكبرى على فرض صحة صدورها عن شيخ الاسلام ٠

(٤) فى ا : خطه عليها ٠

الشيخ شهاب الدين الفيشى

ومنهم الشيخ الامام العلامة مفتى المسلمين الشيخ شهاب الدين الفيشى المالكى رضى الله تعالى عنه ٠

صحبته سنة بعد أن عرضت عليه محفوظاتى وأجازنى ودعا لى بدعوات وجدت بركتهن ٠ وكان مذهب الامام مالك نصب عينيه ، وأكثر ايامه صائما ، وكان يتهجد كل ليلة بثلث القرآن ٠ وأوصانى بوصيته فانتقشت فى قلبى الى الآن ، فانتفعت بها ٠

قال لى : يا ولدى ، لا تعول على حفظ العلم من غير عمل ، كما عليه الناس اليوم تخسر دينك ٠ وكان مجلسه هيبة ووقار وأدب وعلم ، وكان دائم الطهارة لا يحدث الا ويتوضأ ٠ هكذا قال لى أصحابه رضى الله تعالى عنه ٠

الشيخ عبد الرحمن الأجهورى

ومنهم اخى المحب الصادق العالم العامل الزاهد ، مفتى المسلمين الشيخ عبد الرحمن الأجهورى المالكى رضى الله تعالى عنه ٠

اخذ العلوم عن الشيخ شمس الدين اللقانى ، وعن أخيه الشيخ ناصر الدين اللقانى وغيرهما ، وأجازوه بالفتوى والتدريس ، فدرس العلم وافتى فى حياة أشياخه ٠

وكان الشيخ ناصر الدين اذا جاءته الفتوى يرسلها له من شدة اتقانه وحفظه للنقول رضى الله تعالى عنه ٠ وما زار أحدا من العلماء قدر ما زارنى ، كان رضى الله عنه لا يكاد يتخلف عن زيارتى كل يوم أربعاء ٠

وكان الشيخ يوسف الحريثى يقول : أحب من الدنيا ثلاثة : الشيخ عبد الرحمن الأجهورى ، والشيخ يوسف البشلاوى ، وعبد الوهاب الشعرانى ٠

وكان الشيخ عبد الرحمن كريم النفس قليل الكلام واللغو ، حافظا

لجوارحه عن المخالفات ، كثير التهجد فى الليل ، كثير التلاوة للقرآن ، زاهدا ورعا كثير الأدب مع اخوانه ٠

تفقه عليه خلائق لا يحصون ، وكتب على مختصر الشيخ خليل ، والف عدة كتب نافعة وصلت الى بلاد المغرب وبلاد التكرور ، صحبته اربعين سنة فما سمعته قط يذكر احدا بسوء من اقرانه ، على ما آتاه الله تعالى من علم أو مال أو جاه أو اقبال من الناس ، بل يقول : لولا انه يستحق ما اعطاه الله تعالى ذلك ٠

ولما مرض دخلت عليه فوجدته لا يقدر أن يبلع المـاء من غصة الموت ، فدخل عليه شخص بسؤال فقال : اجلسونى ، فاجلسناه واسندناه فكتب ، فلم يقف له ذهن مع شـدة المرض رضى الله عنه وقال : لعل ذلك آخر سؤال اكتب عليه ، فمات تلك الليلة رضى الله تعالى عنه ٠

حضرت معه انا والشيخ ابو العباس الحريثى قراءة المواهب(١) مع مؤلفها الشيخ شهاب الدين القسطلانى شارح البخارى ، وجمع عليـه الأربعة عشرة قراءة ٠

مات رضى الله عنه سنة نيف وعشرين وتسـعمائة ودفن تجاه مقام اخوه يوسف عليه الصلاة والسلام بجامع محمود بالقرافة ، وقبره ظاهر ، وكان كلما مر على قبر يقول : انا احب هذه البقعة ، رضى الله تعالى عنه ٠

الشيخ شمش الدين العبادى

ومنهم الشيخ العلامة المحقق الورع الزاهد الشيخ شمس الدين العبادى الشافعى رضى الله تعالى عنه ٠

صحبته عشر سنين ، فما رايت أكثر صمتا منه ٠ ثم مرض فاكل حامضا

---

(١) هو كتاب المواهب اللدنية فى الشمائل المحمدية ، وقد شرحه الزرقانى شرحا مبسوطا فى سبعة مجلدات ٠

فثقل لسانه . افتى ودرس فى الجامع الأزهر ، وانتفع به خلائق ، ولم يزل فى ازدياد ، الى أن مات رضى الله تعالى عنه آمين .

الشيخ شهاب الدين البلقينى

ومنهم الشيخ الصالح المجمع على حالته الشيخ شهاب الدين البلقينى رضى الله تعالى عنه . كان رضى الله عنه غريبا فى اقرانه ، لكثرة زهده وورعه ، وحسن خلقه ، وحلاوة لسانه ، وضبطه .

اخذ العلم عن عدة من العلماء الأعلام ، ومن أجلهم العلامة الشيخ شهاب الدين الرملى الأنصارى رضى الله تعالى عنه ، ولازمه ملازمة شديدة حتى اجازه بالافتاء والتدريس ، فدرس وافتى فى حياته ، وانتفع به خلائق ، حتى كانت حلقته أوسع من حلقة شيخ .

واخذ طريق القوم عن سيدى على المرصفى ، ثم عن تلميذه الشيخ نور الدين الشونى ، شيخ مجلس الصلاة على النبى ﷺ فى جامع الأزهر(١) ، واحبه غاية المحبة ، واستخلفه فى مجلسه فى حياته وبعد مماته ، وقدمه على جميع اصحابه وقال : ما قدمته فى المجلس الا بعد مشاورة النبى ﷺ ، واعتقد علمه وصلاحه ، الخاص والعام ، واشتهر فى مصر وقراها ، والشام ، والحجاز ، والروم .

وصحبته رحمه الله تعالى نحو اربعين سنة ، فما رأيت عليه شيئا يشينه فى دينه ، وما ذكره أحد بسوء الا وراه تلك الليلة وعليه ثياب خضر وبيض نقية الخضرة والبياض ، فاعرف بذلك كذب الحاسد وصدق الشيخ شهاب الدين وشدة اخلاصه .

وما رايته قط التفت الى وظائف الفقهاء ، بل تربى على العفة والورع والزهد فى الدنيا حتى أتته وهى راغمة .

---

(١) وكان طريقه هو الصلاة على النبى ﷺ ، لا يلقن غيرها ، ويوصى بالدوام عليها فى كل وقت حتى تصبح ملكة لا تفارق القلب .

ووقع لى مرة معارضة(١) من أصحاب النوبة من العجم فما كنت الا هلكت ، فأتانى زائرا هو والشـيخ نور الدين الشونى ، والشـيخ أبو العباس الحريثى ، والشـيخ شهاب الدين الوفائى رضى الله عنهم وجماعة . فلما أرادوا الانصراف قال لهم الشيخ شهاب الدين البلقينى : كيف تذهبون وأنتم مشايخ مصر ، والرجل بمرضه ، ما حملتم عنه شيئا . فصار كل واحد يقول لصاحبه : احمل أنت عنه ، فيرد الأمر عليه ، فقال الشيخ شهاب الدين البلقينى : مدونى وأنا أحمل عنه . ثم وضع رأسـه فى طوقه مقدار درجة ، فقمت فسبقتهم الى خارج الدار ، وكان لى تسعة أيام لا آكل ولا أشرب ولا أنام .

ورأيت مرة فى المنام أن الشيخ نور الدين الشونى جالس فى مجلسه بالجامع الأزهر ، والمقصورة مفروشة بالحرير الأخضر ، والعمد كلها مستورة بالحرير ، ونظرت الشيخ نور الدين سحابة خضراء الى السقف ، فبينما هو كذلك اذ نزل الى الأرض وابتعلته ، فجاء الشيخ شهاب الدين البلقينى فجلس مكانه ، ثم ابتعلته الأرض كذلك ، ثم جاءونى فأجلسونى واستيقظت ، فقصصت ذلك على الشيخين ، فقالا : ان صدقت رؤياك فأنت تقبرنا وتعيش بعدنا . فكان الأمر كما قالا رضى الله عنهما .

وكان للشيخ شهاب الدين وقائع غريبة مع الجن ، وكانوا يحدثونه ويوضئونه وكان اذا رأى أحدا مركوبا يقول للراكب : اخرج ، فيخرج من غير عزيمة عليه ، وكذلك بلغنا أنه كان يجتمع بالنبى ﷺ يقظة ويحادثه ، أى يجتمع به فى حالة بين النائم واليقظان ، كما هو مقرر فى تأويل كلام القوم .

مات رضى الله عنه فى ثانى صفر سنة ستين وتسعمائة ، ودفن بالقرب من تربة الجامع الأزهر ، رحمة الله تعالى عليه .

---

(١) معركة باطنية تحدث بين الأولياء تحدث منها أمراض وغير ذلك.

الشيخ زكريا بن الشيخ زكريا الأنصارى

ومنهم الشيخ زكريا ولد شيخنا شيخ الاسلام زكريا الأنصارى ، رضى الله تعالى عنهما ٠

اخذ العلم عن ابيه المذكور ، وعن الشيخ برهان الدين بن ابى شريف، وعن الشيخ عبد الحق السنباطى ، وعن الشيخ كمال الدين الطويل ٠

وكان أبوه يحبه محبة عظيمة ، وأخذ التصوف وطريق القوم ، ولبس الخرفة عن ابيه المذكور ، وعن سيدى على المرصفى ، وعن غيره ٠ وكان ذكيا ، خلو اللسان ، جميل المعاشرة ، كريم النفس ، كثير التهجد فى الليل ، كثير الصدقة والافتقاد لفقراء الركب ، وكان كثير البكاء عند سماع شىء من اهوال يوم القيامة ٠

مات رضى الله عنه فى شوال سنة تسع وخمسين وتسعمائة ، ودفن خارج باب النصر ، تجاه السيدة زبيدة ، رحمه الله تعالى ٠

فصـــل

فى مناقب جماعة من علماء العصر الأحياء

ولنذكرهم على ترتيب سبق ائمتهم بالزمان . فتبدأ بأصحاب الامام الأعظم أبى حنيفة النعمان ، ثم بأصحاب الامام الشافعى محمد بن ادريس ، ثم بأصحاب الامام مالك بن انس ، ثم بأصحاب الامام احمد بن حنبل ، رضى الله تعالى عنهم أجمعين ، غير ملتزمين تقديم الأفضل من كل مذهب ، لجهلنا بحقيقة مقامهم الذى يموتون عليه ، فان التحول والتبديل ربما وقع لأحدهم ، فيقع وصفنا له على خلاف الواقع ، فيكذبنا الحس .

وكذلك قل من يذكر مناقب احد من الأحياء فى حياته ، وانما يذكرونها بعد مماتهم ، ولكن لما قوى رجائى فى الله عز وجل ، وأنه لا يسلب احدا منهم ما وهبه له من العلوم والمعرفة والأخلاق الحسنة أجرانى ذلك على ذكر مناقب من صحبته من الأحياء ، ولم اذكر منهم الا من افتى ودرس فى مذهبه باذن اشياخه ، لأن ذلك غاية ما يصل اليه طالب العلم .

وكذلك لا اذكر منهم الا من علمت بقرائن الأحوال أنه لا يحب الشهرة واستحقر نفسه أن يذكره احد فى طبقات العلماء العاملين ، لعلمى ان من أحب الشهرة ، فهذا مرائى ، وعيوبه مكشوفة للناس ، فلا فائدة فى الناس فيما أصفه به وقد كان الامام مالك رضى الله عنه يقول : لو أحب العلماء أن يعرفوا لما عرفوا .

وقد كنت ذكرت بعض جماعة فى هذه الطبقات ، فقال لهم بعض الحسدة : ان فلانا ذكر اقرانكم ولم يذكركم ، فجاءونى فعتبوا علي لكونى لم اذكرهم بناء على صدق ذلك الحاسد ، فرفعتهم من الكتاب ، لعلمى ان من احب الشهرة لابد أن ينطفىء اسمه ، ولو على طول الزمن ، فلا يفيده ذكرى له .

وقد اجمع القوم على ان علامة العالم العامل ان يرى نفسه احقر

عباد الله تعالى على الاطلاق(١) كما كان عليه سيدى عبد العزيز الدرينى ، وسيدى عبد الله المنوفى ، فكان أحدهما اذا جاء الى وليمة ولم يقم اليه احد ولم يفسح له يزداد سرورا ، واذا قدموا لأصحاب الصحون التى اكلها الناس يلحسونها ويزدادون سرورا ويقولون : أكلنا فضلة هؤلاء الناس الملاح ، وحصل لنا بركتهم .

وانا ارجو من فضل الله أن يكون جميع من ذكرتهم على هذا القدم ، وجل قصدى من ذكر صحبتهم من هؤلاء العلماء فتح باب الاعتقاد فيهم من أهل عصرهم ، فيأخذوا عنهم العلم والآدب ، وينتفعوا بعلمهم ، فانهم قالوا : الحاضرة حجاب(٢) .

فترى بعض الناس لا يقيم لأحد من أهل عصره وزنا ، ولا يعتمد على فتواه الا اذا مات ذلك المفتى ، وتخلف ذلك المعاصر بعده ، فيصير بعده من العلماء ، ويسمى ما يراه فى مؤلفه منقولا ، ويحتج به .

وعن قريب تخلو الديار المصرية من هؤلاء العلماء ، ويفقد الناس أنوار علومهم . فالعاقل من تأدب مع علماء زمانه وأقرانه ، وأخذ منهم ما معهم من العلم والسلام . اذا علمت ذلك فاقول وبالله التوفيق .

الشيخ شمس الدين البرهمتوشى(٣)

فمن صحبته من علماء الحنفية الشيخ الامام العلامة المقبل على عبادة ربه ليلا ونهارا ، المعتزل عن الناس فى بيته عملا بالسنة المحمدية ، الشيخ شمس الدين البرهمتوشى ، فسح الله فى أجله للمسلمين . لى فى صحبته الآن مدة عشر سنين ، فما أظن كاتب الشمال كتب عليه شيئا .

---

(١) المراد اتهام النفس فى كل افعالها بالتقصير وعدم الكمال ، لأن الرضا عن النفس بداية الانحراف .

(٢) يعنى : الشىء الحاضر يحجب الانسان عن ادراك سره .

(٣) نسبة الى برهمتوش ، من أعمال سمنود بمحافظة الغربية بمصر .

وان وقع له أن عرض لأحد على وجه التنفير ، فذلك من باب النصح للأمة ، لا لحظ نفسه ٠ وقد كان الامام البخارى رضى الله عنه يجرح الرواة كثيرا ويقول : ارجو من الله عز وجل ألا يطالبنى فى يوم القيامة بغيبة فى أحد ٠ وذلك لأنه يريد بالتجريح نصرة الدين لا التشفى بذلك للنفس ٠

وبالجملة فالشيخ شمس الدين هذا فريد عصره ، ونادرة زمانه فى العلم والعمل والاخلاص ، وعدم الوقوع فيما يذل نفســه لأبناء الدنيا ، حتى ان بعض الولاة ولاه وظيفة تدريس جليلة عند الناس ، فتوقف على ان يذهب الى الأمير ويشكر فضله ، فلم يفعل وتركها ٠

ومما وقع لى انه كشف لى ذات ليلة فرأيت اعمال علماء الجامع الأزهر وهى صاعدة ، فما رايت اعمالهم اضوأ ولا أنور من عمله ٠ فعلمت بذلك علو مقامه فى الاخلاص وكيف لا يكون عمل من اعتزل عن الناس اضوأ وانور وذات المعتزل قد تنظفت عن سائر الأدناس والأنجاس تبعا للقلب ، فانه اذا استنارت أضاءت الذات واضاءت الأعمال(١) ٠

وقد مررت مرة على قناطر السباع التى عملت من الحجارة(٢) ، فنظرت الى سبع منها قريب من الناس عليه النخامات والبصاق حتى اسود وقبحت رائحته ٠ فقال شيخ قد طعن فى السن : انظر يا ولدى واعتبر وتأمل فى ذلك السبع لما قرب من الناس كيف تغيرت احواله ، وتأمل فى ذلك السبع الذى فوق الحائط الذى لا يصل اليه أحد كيف هو أبيض يلمع فى الشمس مثل الشيخ شمس الدين لما بعد عن الناس ٠

فأخذت لنفسى عبرة من ذلك ، فمثل الشيخ شمس الدين هــذا ،

---

(١) يشير الى وصية النبى ﷺ بلزوم المؤمن بيته فى عصــور الفتن ٠ وهــذه الاشارة وغيرها فى مؤلفات الشعرانى تؤكد انه كان صاحب مذهب اصلاحى خطير ٠

(٢) كانت على خليج أمير المؤمنين بالقرب من المشهد الزينبى ٠

وله المثل الأعلى من السبع ، مثال ذلك السبع الذى لا يصل اليه احد ·
نسأل الله تعالى ان يزيده من فضله · آمين ·

اخذ العلم عن جماعة ، منهم شيخ الاسلام الشيخ نور الدين الطرابلسى، والشيخ العلامة المحقق العالم العامل المجمع على جلالته الشيخ محمد نعوش المغربى المالكى حين قدم الى مصر من الروم ، وقرأ عليه أجلاء علماء مصر ، وانتفعوا به ، ولم يزل رضى الله عنه يقرأ على العلماء والأشياخ حتى تبحر فى علوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه واصول ومعان وبيان وغير ذلك · وأجازه أشياخه بالافتاء والتدريس ، فدرس العلم وافتى مرة ، ثم امتنع عن الفتيا تورعا منه رضى الله عنه ·

وانتفع به خلائق لا يحصون من أهل مصر والحجاز والعجم والروم ، واقبل عليه الطلبة اقبالا عظيما ، وقدموه على اقرانه لما هو عليه من العلم والعمل والزهد والورع وقلة التردد الى الأكابر مثل غيره ، وعدم مزاحمته على شىء من وظائف الفقهاء اقتداء فى ذلك بالسلف الصالح رضى الله تعالى عنه · فأسأل الله تعالى أن ينفعنا بعلومه ، ويرزقنا الأدب معه الى الممات ، وأن يحشرنا فى زمرته فى الآخرة تحت لوائه · آمين آمين آمين ·

مات رضى الله عنه فى ثالث جمادى الأولى سنة اثنين وسبعين وتسعمائه ، ودفن بمقبرة المجاورين ، بجوار تربة السلطان قايتباى رحمه الله تعالى آمين ·

الشيخ سراج الدين الحانوتى

ومنهم الشيخ المجمع على جلالته وعلمه وورعه وحفظ جوارحه الشيخ سراج الدين الحانوتى رضى الله تعالى عنه · ما رأيت فى اقرانه اكثر اعتقادا منه فى طائفة الفقراء ، لا يكاد يغفل عن زيارتهم احياء وأمواتا ، وقد استحييت من كثرة زيارته لى ماشيا تبعا لشيخه الشيخ شهاب الدين ابن الحلبى رحمه الله تعالى ·

صحبته نحو عشر سنين الى وقتنا هذا ، فما أظن ان كاتب الشمال وجد شيئا يكتبه عليه من شدة تقواه وضبطه لجوارحه ، وما سمعته يذكر احدا من المسلمين وغيرهم بغيبة ، حتى أنه دخل عليه طبيبان من اليهود فى مرضه لقلت ان احدهما اعرف بالطب من الآخر .

وما رأيته قط يزاحم على شىء من الدنيا ، ولا يتردد الى احد من الولاة الا لضرورة شرعية ، من شفاعة فى مظلوم ونحو ذلك .

وكان مجلسه مجلس علم وأدب وخشية وخوف من الله عز وجل ، فقد طبعه الله على الأخلاق المحمدية ، والشيم المرضية ، والأحوال السنية ، لا يكاد يطلع عليها الا الله عز وجل ، من تهجد وقراءة أوراد ومراقبة .

لم يزل من حين صحبته على قدم التواضع وهضم النفس . وجلس عندى مرة بحضرة شخص من الأولياء فقال لى : نظرة هذا الرجل نظرة أرباب الأحوال(١) فعرفت مقامه من نفس نظرته دون شىء من أعماله الزكية لكثرة اخفائها عن الناس ، ولو أنى أعرف منه محبة عدم الشهرة لأوسعت الكلام ببعض محاسنه فأسأل الله تعالى أن يزيده من فضله ، وأن ينفعنا ببركاته ، ويجعل فى ذريته وطلبته العلم والبركة آمين ، ويحشرنا فى زمرته آمين .

مات رضى الله عنه سنة سبعين وتسعمائة . وكان مولده عام تسع وتسعين وثمانمائة .

الشيخ بشر

ومنهم العلامة الصالح العالم العامل الشيخ بشر رضى الله عنه . أخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ نور الدين الطرابلسى ، وشيخ الاسلام الشيخ

---

(١) الأحوال من نتائج العلم أو من نتائج العمل على خلاف بين القوم ، وهى تلون القلب بين الهيبة والأنس ، أو الفيض والبسط ، أو الجلال والجمال ، وتعاقب هذه الأحوال وغيرها عليه .

عبد البر بن الشحنة ، وغيرهم من العلماء ، وأجازوه بالفتوى والتدريس ، وافتى فى جامع الأزهر وغيره ، وانتفع به خلائق ، وقد غلب عليه الآن صحبة الخفاء والخمول والجلوس وحده ، وترك التردد للناس حتى صار كأنه لم يعرف أحدا . فقيل له فى ذلك . فقال : قد ضاع عمرى من الاشتغال بأمور الناس ومخالطتهم .

وصحبته نحو خمس سنين فما رأيت عليه شيئا يشينه فى دينه ، وما رأيته قط يغتاب أحدا من أقرانه ولا غيرهم . وهو من أجل أصحاب الشيخ نور الدين الطرابلسى . وجلس مدة يقضى بين الناس نيابة عن شيخ الاسلام ، ثم ترك القضاء ، وأقبل على العبادة من صوم وقيام ليل ومراقبة(١) وصمت . وما أتانى قط الا وجدته صائما . وأخبرنى من يخالطه أنه يفطر على كسرة يابسة فى أكثر أيامه ويكتفى بها . رضى الله تعالى عنه . آمين .

الشيخ بدر الدين الشهاوى

ومنهم الشيخ الأخ الصالح العالم العلامة الورع الزاهد الشيخ بدر الدين الشهاوى رضى الله تعالى عنه . صحبته نحو ثلاثين سنة فما زاغ عن الشريعة فى شىء من أفعاله وأقواله وعقائده . أخذ العلم عن جماعة من مشايخ الاسلام ، كالشيخ نور الدين الطرابلسى شيخ الاسلام ، والشيخ شهاب الدين الحلبى . فلم يزل يقرأ عليه حتى تبحر فى علوم الشريعة والافتاء ، فأحبه حبا شديدا وزوجه ابنته ، وأجازه فى الافتاء والتدريس ، فدرس وافتى فى حياة أشياخه باذنهم .

وأخذ طريق التصوف عن سيدى أبى السعود الجارحى رضى الله تعالى عنه فكمل بذلك حاله ، لأن الفقيه اذا لم يكن له علم بطريق القوم فهو ناقص فى المقام ، اذ بمعرفة طريق القوم يعرف العبد دقائق الرياء

---

(١) المراقبة : دوام نظر القلب الى هيبة الله تعالى فى كل حال .

والنفاق فى أحواله فيستغفر منها ويتوب ، ومن لا يعرف طريق القوم ربما يموت على عدة من الكبائر الباطنة من حسد وغل وحقد وعجب وكبر ورياء ونفاق ومحبة للدنيا ، ولا يهتدى للتوبة ، فاعلم ذلك .

ومن صفاته رضى الله تعالى عنه كثرة ذكر الله عز وجل بلسانه وقلبه . ما جالسته قط ورأيته غافلا وشهود أنه يراه ، وهذه أكبر حالة تحصل للفقراء بعد طول مجاهدتهم .

ومن صفاته النصح لاخوانه ، وعدم المداهنة لهم ، مع ما هو عليه من كثرة الصيام ، وقيام الليل ، والصدقات الخفية ، وله القدم العظيم فى كتم أحواله وافعاله عند الناس حتى عن عياله ، وله صبر عظيم عن العزلة والجلوس فى بيته فلا يخرج الا لضرورة شرعية من صلاة جماعة وتدريس ونحو ذلك .

وأوصافه الحسنة تجل عن تصنيفى . فأسأل الله تعالى أن يزيده من فضله ، وأن يحشرنا فى زمرته . آمين . آمين . آمين .

الشيخ أمين الدين بن عبد العال

ومنهم الشيخ الامام العالم العلامة الورع الزاهد فى الدنيا والآخرة الشيخ أمين الدين بن عبد العال رضى الله تعالى عنه . صحبته نحو أربعين سنة فما رأيته زاغ عن السنة المحمدية ، ولا اعتنى بشىء من الملابس ، ولا توقف فى ركوب الحمار على بساط ، واكثر خروجه للسوق بلا رداء ، بل ثيابه فى بيته هى التى يخرج بها الى درسه ، طارحا للتكلف جملة فى جميع أحواله ، لا يكاد أحد يميزه من العامة .

ودخلت عليه مرة وهو جالس فى الدرس أيام الشتاء فى حوش السلطان « جانبلاط » فسطع لى منه أنس عظيم حتى امتلأت جوارحى منه أنسا ، ورأيت باطنه ممسوحا من الأراض النفسانية كباطن الطفل ، وما وقع لى ذلك قط مع أحد من أقرانه . .

وكان والده الشيخ عبد العال رجلا صالحا كريما عفيفا لا يمكن أحدا

ان يفارقه حتى يقدم له شيئا ياكله ، ودخلت عليه مرة فلم يجد عنده طعاما فقدم لى المـاء وقال : اشرب ولو يسيرا • وربما وجد اللقمة اليابسة فيضعها بين يدى الأمير ونحوه ، رضى الله تعالى عنه وعن ولده الشيخ أمين على تقوى وعلم وأدب •

أخذ العلم عن جماعة ، منهم الشيخ نور الدين الطرابلسى ، وأجازه أشياخه بالافتاء والتدريس فى حياتهم باذنهم له فى ذلك ، ووقف الناس عند قوله ، وأجمعوا على كثرة ورعه وزهده وحفظ جوارحه من المخالفات ، وكان اكثر أوقاته جالسا وحده لمحبته للعزلة اقتداء بالسلف الصالح •

وما جالسته قط الا ورأيته مشغولا بالله عز وجل وبأهوال يوم القيـامة ، وله القـدم الراسـخة فى كلام القوم ، لا سيما كلام الشـيخ محيى الدين بن عربى رضى الله تعالى عنه • وكانت اكثر اعماله قلبية • وسمعته يقول : كل عمل ظهر من أمثالنا دخله الدخيل •

وعرضوا عليه مرة عدة وظائف من تدريس وغيره فأبى • وبالجملة فأوصافه الحسنة كثيرة ، فأسأل الله عز وجل أن يزيده من فضله ، وان ينفعنا ببركاته آمين ، اللهم آمين •

مات يوم الأحد المبـارك ثانى عشر من رجب سنة احدى وسبعين وتسعمائة ، ودفن فى باب النصر ، تجاه المدرسة الجانبلاطية •

الشيخ شرف الدين البلقينى

ومنهم الشيخ الامام المجمع على جلالته وعلمه وصلاحه وزهده وورعه الشيخ شرف الدين البلقينى شيخ تربة « خاير بك » ملك الأمراء ، رضى الله تعالى عنه •

صحبته نحو أربعين سنة فما رأيته حاد عن طريق الشريعة ، ورؤية وجهه تشهد لى بذلك ، لمـا عليه من الأنس والهيبة والخشوع • أخذ العلم عن جماعة ، منهم شيخ الاسلام نور الدين الطرابلسى ، والشيخ برهان الدين ابن أبى شريف وغيرهما ، وأجازوه بالافتاء والتدريس ، وانتفع به خلائق •

وأخذ طريق القوم عن جماعة ، منهم : سيدى محمد المغربى الشاذلى . وله أحوال عظيمة وتهجد طويل ، بالليل ويحب اخفاء الأعمال ، فلا يكاد يطلع على عمله أحد ، وما رأيته قط الا وحصل لى فى باطنى انشراح صدر ، وانفساح ، وزيادة حياء ، وهذه من أكبر علامات الصالحين .

وما رأيت فى اقرانه اكثر سعة منه ، ولا اكثر تواضعا ولا هضما للنفس ، وما تغير على احد فافلح بعد على يد غيره وذلك لما هو عليه من الضبط والمناقشة لطلبته ، ومن فر من مناقشة شيخه له فهو لا شك يفر من كل شئ وناقشه بعد ذلك(١) . ولولا أنى أعلم منه محبته للخمول وعدم الشهرة لذكرت من محاسنه ما تقر به العيون .

فأسأل الله تعالى من فضله أن يزيده علما وعملا وجمعية قلب على الله تعالى حتى يلقاه . آمين .

مات رحمه الله تعالى . . . . (٢)

الشيخ زين العابدين بن نجيم

ومنهم الأخ الصالح والعلامة المحقق المدقق العابد الزاهد الشيخ زين العابدين ابن نجيم ، رضى الله عنه .

صحبته نحو عشر سنين الى الآن ، فما رأيت عليه شيئا يشينه فى دينه ، وحججت معه فى سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة فرأيته على قدم عظيم مع جيرانه وغلمانه فى ذهابنا وايابنا ، مع أن السفر يسفر عن أخلاق الرجال ، وتخرج فيه الأخلاق عن الحد(٣) .

أخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ شرف الدين البلقينى ، والشيخ

---

(١) وذلك لأن الشيخ حافظ لأسرار طلبته ، فاذا فر الطالب ممن يحفظ أسراره فبالأخرى يفر من غيره ممن لا يحفظون السر .

(٢) بياض فى الأصول .

(٣) أى بطر فيها الحسن أو القبيح .

شـهاب الدين بن الحلبى ، والشيخ امين الدين بن عبد العال ، وأبى الفيض السلمى وغيرهم • وأجازه اشياخه بالافتـاء والتدريس فأفتى ودرس فى حياة اشـياخه باذنهم ، وانتفع به خلائق لا يحصون ، وله عدة مؤلفات حرر فيها نقول مذهبه لا يستغنى عنها مفت ولا مدرس •

وأجمع الفقهاء على ادبه وجلالته ، وما تخلف عن الاذعان له الا كل من عنده حسـد أو جهل بمقامه •

وما رأيت فى اقرانه اكثر فوائد ولا احسن منه وله الاعتقاد العظيم فى طائفة القوم • وقد شـاورنى فى ترك الافتـاء والتدريس من الاقبـال على طريق القوم • فقلت له : لا تدخل فى طريق القوم الا بعد تضلعك فى علوم الشريعة ، وحتى تصير تقطع جميع علماء مصر بالحجج القاهرة فى مجلس المناظرة ، فأجابنى الى ذلك ، وقـد بلغ بحمد الله ذلك •

واخـذ الطريق عن الشـيخ العارف بالله تعالى الشـيخ سليمان الخضيرى ، وصار له ذوق عظيم فى الطريق يحل به مشكلات القوم ويوجهها على احسن حال ، فأسأل الله تعـالى أن يزيده من فضله علما وصلاحـا ويحشرنا فى زمرته آمين •

الشـيخ شمس الدين القلقشندى

ومنهم الأخ الصالح العالم الورع الزاهد الشيخ شمس الدين القلقشندى، المسـيرى الأصل ، المقيم بالمدرسـة الأشرفيـة بخط الوراقين رضى الله تعـالى عنـه •

صحبته نحو عشر سنين فما رأيت عليه شـيئا يشينه فى دينه ، بل نشـأ على علم وخير وأدب وعمل ، وحججت معه فى سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة ، فما رأيت فى اقرانه اكثر مروءة ولا عبادة منه ، هو والشيخ شمس الدين الشربينى الخطيب ، فانى رأيتهما يمشيان عن جمالهما غالب المراحل وهما مشغولان بتلاوة القرآن وافادة الناس وتعليمهم المناسك ، ورأيته كثيرا يعطى نعله للفقراء الحفاة ويمشى هو حافيـا ، وكذلك رأيته

يطوى عن الطعام والشراب فى غالب أيامه ويعطى عشاءه وغذاءه الى الفقراء ، وظهر لى منه فى تلك السنة علو همته ، وكثرة اخفائه اعماله التى لا يقدر أحد على المداومة عليها قط ٠

أخـذ العلم عن جماعة منهم الشيخ نور الدين الطرابلسى ، والشيخ شـهاب الدين بن الحلبى ، وأجازه مشايخه بالافتـاء والتدريس ، فأفتى ودرس فى حياة أشياخه ، وانتفع به خلائق ، ولا اعلم احدا يحفظ نقول المذهب مثله ، وأقبل على العلم والعمل والعبادة ، وتولى القضاء مدة ثم عزل نفسه ، ومات رضى الله عنه ٠

الشـيخ صـدر الدين

ومنهم الشيخ الامام العالم العلامة المفتى الأخ الصالح الورع الزاهد صـدر الدين الامام بجامع القلعة ، رضى الله تعالى عنه ٠ صحبته عدة سنين فما رأيت عليه شـيئا يشينه فى دينه ، ولم يزل مقبلا على عبادة ربه والعلم والعمل والعبادة ، وله تهجد عظيم فى الليل ، وحفظ للجوارح ، ومجلسه مجلس علم وادب وحيـاء ، وما رأيت فى اقرانه احسن خلقـا منه ، ولا اكرم نفسـا ٠ فأسأل الله تعالى ان يزيده من فضله علما وعملا وزهدا وورعا ويحشرنا فى زمرته آمين آمين آمين ٠

الشـيخ محب الدين البكـرى

ومنهم الشيخ الامام العلامة الصالح الشيخ الذى لا يخاف فى الله لومة لائم الشيخ محب الدين البكرى رضى الله تعالى عنه ٠

هو من بيت علم وصـلاح ، وتولى ولده الشيخ رضى الدين قاضى ديوان الشريف ٠ صحبته نحو اربعين سنة فما رأيته حاد عن طريق الحق، ولا هاب أحدا من الولاة والاكابر ، بل يصدعهم بالحق ، وهـذا الأمر قد انفرد به فى مصر الآن ولم يشاركه فيه احـد مع ما هو عليه من الورع والزهد وعدم قبول الهدية ممن لا يتورع فى كسبه ٠ وما ثارت فى مصر فتنة الا وكان خمودهـا على يديه ، ولم يزل يصلح بين العلماء والأكابر

اذا وقع بينهم تنافر وتدابر ، وكلامه مقبول عند سائر الناس ، وذلك دليل على صدقه واخلاصه .

ولما وقعت الفتنة فى مسألة استبدال الأوقاف ايام قاضى العسكر محمد اليـاس وعارضهم الشيخ نور الدين الطرابلسى ، كاتبوا فيه السلطان فأرسل مرسوما يشنق الشيخ نور الدين . ورأيت وأنا بين النائم واليقظان لوحا نزل من السماء معلقا بسلسلة من فضة تجاه الشيخ محب الدين ، مكتوبا بخط اخضر ، يقرؤه جميع من يمر عليه ، فأرسلت وأعلمت الشيخ بذلك ، فلما جاء المرسوم كانت نجاته على الشيخ محب الدين .

وبالجملة فما رأيت فى عصر الشيخ محب الدين اكثر اهتماما بأمور المسلمين ولا اكثر خوفا من الله عز وجل ، ولا انصر للحق منه ، يكلم اعظم الأمراء كما يكلم آحاد الناس .

بلغنا انه لما صحب الشيخ الكامل سيدى محمد المغربى الشـاذلى شيخ جـلال الدين السيوطى فى التصـوف قال له : يا محب الدين تكلم وامر بالمعروف وانه عن المنكر ، ولا تخف من احد . فلذلك لم يكن فى مصر أحد من العلماء يواجه الباشـات والأمراء والدفاتر بالكلام الجافى المر الا هو . وكذلك لما صحب الشيخ على المرصفى والشيخ تاج الدين الذاكر والشيخ ابا السعود الجارحى وغيرهم . وكانوا كلهم يجلونه ويعظمونه ويصفونه بالصلاح والعلم والورع والدين .

وله تجهد بالليل وأوراد عظيمة وصيام كثير ، وعلى وجهه الخفر والوقار ، وأوصافه الحسنة تجل عن تصنيفى ، فأسأل الله أن يزيده من فضله ، وأن يحشرنا فى زمرته آمين . آمين . آمين .

قلت : ويقى جماعة كثيرة من الحنفية ذكرناهم فى كتـاب المفاخر والمـآثر فى بيان علماء القرن العاشر ، كالشيخ عمر بن عبد الجيد ، وسيدى سرى الدين بن الصائغ ، وسيدى يحيى الرهاوى ، وسيدى محمد بن الحلبى ،

وسيدى يحيى الوفائى فمن أرد الاطلاع على حالهم فلينظر الكتـاب المذكور· والله تعـالى أعلم ·

واما اصحابنا من علماء الامام مالك رضى الله عنه ·

فمنهم الشيخ اللامام العالم العامل الزاهد الورع المجمع على حلالته ·

الشـيخ عبد الرحمن الغاجـودى

المقرىء المقيم بالمدرسة العينية ، رضى الله تعالى عنه صحبته صحبة قلبية نحـو عشر سنين الى الآن فما رايته زاغ عن الطرق الشرعية فى شىء من احواله ، وهـذا اعظم كرامة تكون للأوليـاء ·

اخـذ رضى الله تعـالى عنه العلوم الشرعية عن الشيخ شمس الدين اللقانى ، وعن أخيه الشيخ ناصر الدين اللقانى وغيرهما ، واجاوزه بالفتوى والتدريس ، فدرس ولم يفت تورعا ، وله حال عظيم مع الله تعـالى فى سره وصيامه وقيامه ، يتعاطى حوائجه بنفسـه من السوق ويحملها ولا يمكن احد يحملها معه على طريق السلف الصالح ·

وله ضبط عظيم لجوارحه حتى لا يكاد صاحب الشمال يجد شيئا يكتبه عليه ، وله شعرة تضرب الى شحمة اذنه اتباعا للسنة المحمدية ·

قلت : ورأيت رسـول الله ﷺ فأمرنى بمطالعة كـلام الامام مالك لأجله ، وذلك لأن شـخصا ورد عليه زائرا فقال : اقرأوا لنا الفاتحة لمـا أراد الانصراف · فقال الشـيخ عبد الرحمن : هـذا لم يرد فيه شىء عن النبى ﷺ · فلما اعلمنى بذلك قلت له : الأمر سهل فى ذلك ، لو يؤاحذه الله تعالى على ذلك · فرايت رسـول الله ﷺ وقال لى : عليك بالاطلاع على اقوال امام دار هجرتى ، والوقوف عندها ، فانه شـهد آثارى ·

فعلمت ان توقف الشيخ عبد الرحمن عن القراءة لعدم ورود شىء فيها افضل من الابتداع ولو استحسنه العلماء ، وعلمت أن الامام مالك رضى الله عنه من أشـد الناس اتباعا للسنة المحمدية ، فلذلك طالعت المدونة الكبرى والموطأ ، وحررت منهما المسـائل التى اختص بها الامام

مالك عن الأئمة ، لاقف عندها عملا باشارة رسـول الله ﷺ ، وكانت هذه الرؤية كرامة للشيخ عبد الرحمن لأن رسول الله ﷺ نصره على فاسأل الله تعالى أن يزيده من فضله ، وأن ينفعنا ببركاته فى الدنيا والآخـرة • آمين آمين آمين •

الشيخ عبد القادر المرشـدى

ومنهم الشيخ الصالح الورع الزاهد الشيخ عبد القادر المرشـدى رضى الله تعالى عنه • صحبته سنتين عدة فما رأيت عليه شيئا فى دينه ، ورأيته رضى الله عنه على قدم عظيم فى الزهد والورع وهضم النفس حتى كانه تراب ، مع ما هـو عليه من حسن الخلق والكرم ، وحفظ الجوارح ، وحـلاوة المنطـق •

أخذ العلوم الشرعية وتوابعها عن عدة من المشايخ منهم المشـايخ العلامة المجمع على جلالته وورعه وزهـده وعلمه الشيخ ناصر الدين اللقانى ، فاشـتغل عليه حتى تبخر فى العلوم ، وأجـازه بالافتـاء والتدريس ، فدرس وافتى فى حياة مشـايخه •

وكان الشيخ ناصر الدين اللقانى يرسل له الأسئلة فيجيب عنها بأحسن جواب ، وهو على قـدم عظيم فى احتمال الأذى ممن آذاه ، ولا يقابل احدا من اعدائه بسـوء ، بل يصبر ويدعو الله بالمغفرة ، وما رأيته قط زاحم على شىء من وظائف العلماء ، ولا تردد لأحد من أبناء الدنيا ، واذا جالسـه احد لا يكاد يفارقه من حسن خلقه وهضم نفسه ، وجليسـه فى راحة منه ، لا يكان يسمع كلمة واحدة منه فى حق احد من المسلمين ، وقل مجلس يسلم الآن من ذلك •

وله قيـام عظيم فى الليل ، وصيام كثير بالنهار ، لم يزل مكبـا على الاشتغال بالعلم والعمل وتعليمه منذ دخل الجامع الأزهر ، ولم يلتفت الى شىء من شـهوات الدنيا من مأكل أو ملبس أو منكح أو مسكن ، قد رضى من الدنيا باقل القليل ، يحب الخمول ويكره الشـهرة ، يقنع بالكسرة

اليابســة ، ويشكر الله عليها ، ولا يرى نفســه يستحقها ، لم يزل بمعزل عما اقرانه فيه من شــدة الحســد بعضهم لبعض ، لذلك رفعه الله تعالى عن اقرانه ، وجعل الناس يقفون عند قوله ٠ وأوصافه الجميلة الحسنة تجل عن تصنيفى ٠ فأسال الله تعــالى أن يزيده من فضله ٠ آمين ٠

الشيخ زين العابدين الجيزى

ومنهم الشيخ الصالح العالم الزاهد المجمع على جلالته وعلمه ودينه وضبط جوارحه ، وخوفه من الله تعالى وخشيته له ، الشيخ زين العابدين الجيزى ٠ صحبته نحو عشر سنين الى الآن ، فما رأيت عليه شيئا يشينه فى دينه ، بل نشأ فى علم وأدب وعبادة وخير ٠

اخــذ العلم عن جماعة منهم الشيخ العلامة المحقق ناصر الدين اللقــانى ، فاشتغل عليه حتى تبحر فى علوم الشريعة ، وأجازه بالافتــاء والتدريس ، وكان يرسل اليه بالأسئلة المشكلة فيجيب عنها فى حياة شيخه ، فيفرح شــيخه بهــا ٠

وما سمعته قط يذكر احدا من اقرانه الذين يحسدونه بســوء ، بل يجلهم ويكرمهم فى غيبتهم وحضورهم ، ولا يؤاخذ احدا منهم على ما وقع منــه فى حقه ، بل هو كثير الاحتمال للأذى بطيبة نفس ، وما رأيته قط زاحم على شىء فيه رئاسة ، ولا تردد الى أحد من الأكابر ٠

وعرضوا عليه عــدة وظائف فأبى أن يقبلها وقنع من الدنيا بالكسرة اليابســة والثياب الدون ، مع كثرة تواضعه وحسن خلقه وبشاشته وحلاوة منطقه ، يقول جليسه : ما رأيت خلقا احسن منه ولا اكثر تواضعا ، وكأن الله قــد محق من نفسه كل خلق ردىء(١) وابدله خلقا حسنا ٠ ولولا انى اعرف منه محبة الخمول وكراهة الشهرة لأبديت لأهل عصره من اخلاقه ما يبهر العقول ، ولكنها سوف تظهر لهم فى الآخرة ٠ فأسأل الله تعــالى

---

(١) فى الأصول : محق نفسه من كل خلق ردىء ٠

ان يفسح من اجله للمسلمين ، وان ينفعنا ببركاته وبركات علومه فى الدنيا والآخرة ٠

الشيخ فتح الدين الدميرى

ومنهم الشيخ الامام العالم العلامة الأخ الصالح الورع الزاهد الشيخ فتح الدين الدميرى رضى الله تعالى عنه ٠ صحبته نحو خمس سنين فما رأيته زاغ عن الشريعة فى شىء من أحواله ، بل هو خائف من الله عز وجل ، كثير الحياء منه ، كثير المراقبة له ، ما اجتمعت به قط الا حصل لى منه مدد بمجرد رؤية وجهة المكرم ٠

تولى القضاء مرة ، ثم عزل نفسه بحيلة ، ثم طلبوه أن يتولى فأبى واقبل على العلم والعمل والتأهب للدار الآخرة ، وله قيام عظيم فى الليل ، وبكاء وتضرع وابتهال ومراقبة لله تعالى ٠

اخذ العلوم الشرعية وتوابعها من جماعات ، وأجازوه بالافتاء والتدريس فى جامع الأزهر وغيره ، كشيخ الاسلام شمس الدين اللقانى ، واخيه الكامل المحقق الشيخ ناصر الدين ، والشيخ نور الدين البحيرى ، والشيخ شمس الدين النقاى شارح المختصر ، وشيخ الاسلام يحيى الدميرى، والشيخ ابى الفضل المحلى واطلعنى على خطوطهم جميعا باجازته رضى الله تعالى عنهم ٠

وصحب جماعة من الصوفية واخذ منهم الطريق ، كالشيخ محمد الشناوى شيخنا ، والشيخ عبد الحليم بن مصلح ، والشيخ أبى السعود الجارحى رضى الله تعالى عنهم واقبلوا عليه اقبالا عظيما ، وأحبوه ، وحصل له منهم مدد كبير فأسال الله تعالى أن يزيده من فضله ، وأن يحشرنا فى زمرته مع العلماء العاملين ٠

وكان اخى العالم الصالح الشيخ عبد الرحمن الأجهورى يحبه ويبالغ فى محبته ويصفه بالزهد والورع والخوف من الله تعالى ٠

اخذ العلم عن جماعة العالم كالشيخ ناصر الدين اللقانى ، والشيخ

عبد الرحمن الأجهورى ، والشيخ فتح الدميرى ، والشيخ نور الدين الديبلى ، وجماعة ، فأحبوه وأثنو عليه ، واجازوه بالافتاء والتدريس ، ولم يزل مكبا على الاشتغال بالعلم والعمل ، وغير ملتفت الى شىء من أمور الدنيا ، طارحا للتكلف ، محبا للخجول ، كارها للشهرة ، يلبس ما وجد ، ويأكل ما وجد ، لا يكاد يعرفه أحد من العلماء ٠

وسمعته يقول مرات : والله ما أرى جميع ما تقلدته من العلم الا حجة على يوم القيامة بعد العمل به والاخلاص فيه(١) ٠ وما سمعته قط يذكر احدا بغيبة لا عدو ولا صديقا ، فأسال الله تعالى أن يزيده من فضله ٠ آمين اللهم آمين ٠

الشيخ نور الدين الطحلاوى

ومنهم الشيخ الصالح الزاهد نور الدين الطحلاوى ٠ صحبته عدة سنين الى الآن ، فما رأيت عليه شيئا يشينه فى دينه ، ونشأ فى علم وأدب ونسك وعبادة ٠ واخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ ناصر الدين اللقانى ، والشيخ تقى الدين الدميرى وأجازوه بالافتاء والتدريس ، فأفتى ودرس ، وانتفع به خلائق ، ولولا أنى أعلم منه كراهة الشهرة لأظهرت من محاسنه عجبا ، فأسال الله ان يزيده من فضله ٠

الشيخ غنيم

ومنهم الشيخ الصالح العابد الزاهد الشيخ غنيم شيخ قبة السلطان الغورى رضى الله تعالى عنه ٠ صحبته سنين فما رأيت عليه شيئا فى دينه ، ونشأ على علم وعمل وديانة وخير ، وكف جوارح عن المخالفات ، وما سمعته قط يحسد أحدا من المسلمين على شىء من الدنيا ، ولا يستغيبه ،

---

(١) لأن الانسان لا يمكن مهما أخلص وعمل أن يؤدى مطالب العلم على وجهها ، وان فرض أنه أداها فلا يمكن أن يقوم بحق شكره ، كما لا يمكن التحرز عن مداخل النفس فيه ٠

وله تهجد بالليل ، بحيث لا يراه احد الا مصادفة ، فأسال الله ان يزيده علما وعملا ودينا وزهدا وصلاحا ٠

الشيخ ناصر الدين الصعيدى

ومنهم الشيخ الصالح العالم العامل بعلمه ، الخائف من الله عز وجل ، ناصر الدين الصعيدى رضى الله عنه ٠ صحبته صحبة قلبية فرايته على قدم عظيم فى الايمان والخشية والخوف من أهوال يوم القيامة ، وله تهجد عظيم بالليل ، لا يكاد يغيب عن شىء من المواكب الالهية من حين العشاء الى أن يطلع الفجر ٠

اخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ ناصر الدين اللقانى ، والشيخ عبد الرحمن الأجهورى ، واجازه أشياخه بالفتوى والتدريس ، فدرس فى حياة أشياخه ، وأفتى وانتفع به خلائق ٠

وما رأيته قط يزاحم على شىء من أمور الدنيا ، ولم يتردد الى بيوت احد من الظلمة واعوانهم ، بل لم يزل مكبا على الاشتغال بالعلم والعمل ، محبا للخمول كارها للشهرة ، فأسأل الله أن يزيده من فضله ، وأن يفسح فى اجله للمسلمين ٠

وقد ذكرت مناقب المالكية فى كتاب المفاخر والمآثر ، فراجعة ٠

وأما اصحابنا من علماء مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه فمنهم الشيخ الامام العالم ٠

الشيخ ناصر الدين الطبلاوى

رضى الله تعالى عنه ٠ صحبته نحو خمسين سنة فما رأيت فى أقرانه اكثر عبادة لله تعالى منه ، لا تكاد تراه الا فى عبادة ، اما يقرأ القرآن ، واما يصلى ، واما يعلم الناس العلم ٠ وانتهت اليه الرئاسة فى سائر العلوم بعد موت اقرانه ٠ ولما دخلت مصر سنة احدى عشر وتسعمائة كان رضى الله عنه مشهورا فى مصر بكثرة رؤيته رسول الله ﷺ ، واقبل

عليه الخلائق اقبالا كثيرا بسبب ذلك ، فأشار عليه بعض الأولياء باخفاء ذلك ، فأخفاه ، وليس فى مصر الآن أحد يقرأ فى سائر العلوم الشرعية وآلاتها(١) الا هو فقط ، وأما غيره فيدرسها فى بعضها دون بعض .

وقد عدوا ذلك فى جملة كراماته ، فانه من المتبحرين فى علم التفسير والقرآن والفقه والحديث والأصول والمعانى والبيان والحساب والمنطق وعلم الكلام وعلم التصوف ، وله الباع الطويل فى كل هـذه العلوم ، وما رأيت فى مصر أحفظ لمنقول هـذه العلوم منه ، فكأنها كلها نصب عينيه ، وشرح البهجة الوردية شرحين ما وضع مثليهما . جمع فيهما ما فى شرحى البهجة لشيخ الاسلام وزاد عليهما ما فى شرح الروض وغيره . وولى تدريس الخشابية . وهو من أجل تدريس فى مصر ، يجتمع فى درسه غالب طلبة العلم فى مصر ، وشهد له الخلائق بأنه أعلم من جميع أقرانه وأكثرهم تواضعا ، وأحسنهم خلقا ، وأكرمهم نفسا ، لا يكاد واحد يطلع عليها لكثرة اخفائه لها ، ولا يبيت على دينار ولا درهم ، مع كثرة دخله تبعا لشيخه الشيخ زكريا .

وقد عاشرته مدة عشرين سـنة أطالع أنا واياه على شيخ الاسـلام المذكور ، فكنت أطالع من طلوع الشمس الى الظهر ، ويطالع هو من الظهر الى غروب الشمس ، فما كنت أظن أن أحدا فى مصر أكثر منه جلوسا ، فكنت اذا نظرت الى وجه الشيخ ناصر سررت ، واذا نظرت الى وجه شيخ الاسلام سررت ، وكان النهار الطويل يمضى كأنه لحظة من حسن أدبه وأدب شـيخه ، ومن حلاوة منطقهما ، وكثرة فوائدهما ، لا سيما فى علم التأليف والوضع ، وضم الشـكل الى شـكله ، وتوطئة الألفـاظ .

وبالجملة فأوصافه الجميلة تجل عن تصنيفى وتأليفى ، كما يعرف

---

(١) مثل علم المعانى والبيان والبديع والنحو والصرف .

ذلك من كشف الله تعالى عن بصيرته فى هضم نفسه ، حتى كأن الله تعالى لم يجعل فى باطنه شيئا من الأمراض الباطنة ، ولا من الظاهرة من الأقوال الرديئة ، فانى ما سمعته قط يحسد أحدا من اقرانه ، ولا يستغيب احدا منهم ، ولا رأيته قط يتكبر على احد من المسلمين ، بل يرى نفسه أحقر خلق الله عز وجل ، يقبل يد الكبير ويد الصغير ، ويطلب الدعاء منهم ، وما زارنى قط وزرته الا قال : ضع يدك على صدرى لعل الله يطهره من الأدناس ، والناس عنده كلهم صالحون ، لا يكاد يشهد فى احد سوءا أبدا ٠

ولما افترى بعض الناس الحسدة فى جامع الآزهر اننى ادعيت مقام الاجتهاد المطلق ، وثارت فتنة عظيمة قال رضى الله عنه : ان ثبت ذلك ذلك عن عبد الوهاب فأنا أول من يقلده ، ويعمل بمذهبه ٠ وهذا تواضع عظيم ما سمعته من أحد من اهل عصرى ، فان الأشياخ أجمعوا على أن اعلى مقام فى التواضع لطالب العلم أن تسمح نفسه أن يقرأ العلم على أحد من اقرانه ، فكيف بمن سمحت نفسه أن يقرأ العلم على شخص من طلبة اقرانه ٠

فأسال الله تعالى أن يفسح فى أجله ، وينفعنا به والمسلمين وببركاته وبركات علومه فى الدنيا والآخرة ٠

الشيخ عبد الحميد السمهودى

ومنهم الشيخ الامام الكامل الراسخ فى العلوم الشرعية والمعقولات الشيخ الصالح الورع الزاهد الشيخ عبد الحميد السمهودى رضى الله تعالى عنه ٠ صحبته نيفا واربعين سنة فما رأيت عليه شيئا يشينه فى دينه ، بل نشأ على العلم والأدب والعبادة والفتوة والكرم وحسن الخلق ، وما رأيت فى اقرانه اعف منه ، ولا اعز نفسا منه ، لا تراه يذل لأحد من الولاة ، ولا يزاحم على شىء من الدنيا ومكث مدة طويلة يتجر ويأكل من كسبه ، ويطعم فاضل كسبه للأصحاب والمترددين ، وتاجر فى طبخ

السكر مدة ، ثم ترك ذلك واقبل على العلم والعبادة والقناعة وملازمة بيته الا لضرورة شرعية .

اخذ رضى الله عنــه العلوم عن جملة من مشايخ الاســلام كالشيخ نور الدين المحلى ، والشيخ برهان الدين بن ابى شريف ، والشيخ عبد الحق السنباطى ، والشيخ ملا على العجمى ، والشيخ كمــال الدين الطويل ، وتبحر فى العلوم ، واجازه أشياخه بالافتاء والتدريس من نحو خمسين سنة ، وما رايته قط يسىء الظن بأحد من المسلمين ، ولا يحسد احدا منهم على مال او اقبال من الخلق ، بل هو حافظ للسانه عن ذكر أحد بســوء بغير حق ، جميل المعاشرة ، مهيب المنظر ، يطعم الطعام لكل وارد عليه ، ولا يدخر عن ضيفه شــيئا من لطائف الطعام ، كثير العفو والصفح عن كل من جنى عليــه ، لا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصــفح ، لم يزل نور العلم طافحا من ذلك الوجه المنير واللحية النيرة البيضاء ، ولو انى اخذت اذكر أوصافه الجميلة لضاق عنها الدفاتر .

فأسال الله تعالى أن يزيده من فضله ، وأن يحشرنا فى زمرته . آمين . آمين . آمين .

الشيخ نجم الدين الغيطى

ومنهم الشيخ الامام العــالم العلامة ذو الأخلاق والأوصاف الجميــلة والأخلاق المحمــدية ، والشــيم المرضية ، الشيخ نجم الدين الغيطى ، رضى الله عنه .

صحبته نيفا وأربعين سنة الى الآن ، فما رايته ، وما وقع بصرى على شىء يشينه فى دينه ، بل نشأ على عفة وعلم وادب وحياء وكرم نفس وحسن خلق .

اخذ العلم عن جماعة من مشايخ الاسلام ، كالشيخ زكريا والشيخ برهان الدين بن أبى شريف والشيخ عبد الحق السنباطى والشيخ كمال الدين الطويل والشيخ شــهاب الدين الرملى ، وأجازوه بالافتاء والتدريس ،

فأفتى وافتى فى حياة أشياخه باذنهم ، والقى الله محبته فى قلوب الخلق، فلا يكرهه الا محروم أو منافق .

انتهت اليه الرئاسة فى علم التفسير والحديث والتصوف ، ولم يزل آمرا بالمعروف ، ناهيا عن المنكر ، يواجه بذلك الأمراء والأكابر ، لا يخاف فى الله لومة لائم .

ولما وقعت فتنة أخذ وظائف الناس بغير حق من بعض المفتين انتدب لها وواجه الباشات والأمراء بكلام لا يقدر عليه احد من اقرانه ان يتلفظ به ، وكان خمود الفتنة على يديه ، ووصل خبره الى الروم والحجاز والشام ، وشكره المسلمون على ذلك .

وتولى مشيخة الصلاحية بجوار الامام الشافعى ، ومشيخة الخانقاه الرناموسية ، وهما من أجل وظائف مشايخ الاسلام من غير سؤال منه . وأجمع أهل مصر على جلالته ، وما رأيته قط بغتاب أحدا من اقرانه ، ولا غيرهم وآذاه بعض الناس الأذى فلم يقابله بكلمة واحدة ، فازداد بذلك هيبة ومحبة فى قلوب الناس ، وازداد عدوه مقتا وطردا وكراهة .

وكتب رضى الله عنه على بعض مؤلفاتى كتابة لم يسبق اليها أحد ، لأن هذا المؤلف جمعت فيه نحو ثلاثة آلاف علم اذا سمعه العالم انكره ، ولا يكاد يصدق بتلك العلوم الا ان رآه . وما رأيت فى اقرانه اكثر تواضعا منه ، وما رأيت أحدا من أولياء مصر الا وهو يحبه ويجله ، لا سيما الشيخ نور الدين لأنه كان من أصحاب الشيخ نور الدين الشونى . وله تهجد فى الليل وبكاء وتضرع وخشية من الله عز وجل ، حتى انه يصبح فى بعض الليالى ووجهه يضىء كالكوكب الدرى ، يدرك ذلك من فى قلبه نور ، ولا يجهله الا عدو أو حاسد .

ولما افترى على بعض الحسدة أنى ادعيت الاجتهاد المطلق ، وان اتباعى كثرت فى مصر ، وكتبوا بذلك ، وقصد الى باب السلطان ، قال : ان لم تخرجوا عبد الوهاب من مصر والا خيف على المملكة . فانتصر لى

رضى الله عنه ورد عنى الأعداء اشد الرد ، وقال : اما وقوع الاجتهاد ممن يدعيه فى كل عصر فهو ممكن ، ولا ينكره الا جاهل ، فان من شرط القاضى ان يكون مجتهدا ، وما شرط العلماء ذلك الا لامكانه فى كل عصر ، واما كثرة اتباعه فلم تزل الفقراء لهم خلائق يعتقدونهم ، واما خشية المنازعة للمملكة فالحس يكذب هؤلاء الحسدة ، لأن الرجل لا يمشى فى السوق الا وحده ، وهو زاهد فى الدنيا تعرض عليه فيردها ، فكيف يتصور منه مزاحمة عليها ، واجاب عنى بنحو خمسين جوابا ٠

ثم ان الذى حمل القصد الى باب السلطان حصل له استسقاء ، ثم فالج ، ومات به ، وتمزق كيد الحسدة كل تمزق ببركة الشيخ نجم الدين رضى الله عنه ، فجزاه الله عنى خيرا وعن المسلمين ، وزاده علما وعملا وزهدا وورعا وصلاحا ، ولا زال فى زيادة حتى يلقى الله وهو عنه راض ٠ آمين اللهم آمين ٠

وكانت وفاة الشيخ نجم الدين نهار الأربعاء سابع عشر لصفر الخير سنة احدى وثمانين وتسعمائة ٠

الشيخ نور الدين الطندتاوى

ومنهم الأخ الصالح العالم الزاهد الكامل الراسخ المحقق الشيخ نور الدين الطندتاوى رضى الله عنه ، صحبته نحو سبعة واربعين سنة فلم ار عليه شيئا يشينه فى دينه ، وهو اول من صحبته بجامع الأزهر من اهله ، لم يزل لأحد من حين صحبته ، عاش على تقوى وصلاح وورع واشتغال بالعلم والعمل ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، لا يداهن احدا ٠

واخذ الطريق عن سيدى على المرصفى ، والشيخ محمد الشناوى وغيرهما ٠ واخذ العلم عن جماعة من مشايخ الاسلام ، كالشيخ ناصر الدين اللقانى ، والشيخ شهاب الدين الرملى حتى تبحر فى علوم الشريعة ، واجازوه بالافتاء والتدريس ، فدرس وافتى فى جامع الأزهر فى حياة

اشياخه ، (وكانوا)(١) يرسلون اليه الأسئلة فيجيب عنها بأحسن جواب ٠

وكان الشيخ شهاب الدين الرملى يقول : تحقيق المسائل الواقعة فى الدرس للشيخ نور الدين الطندتاوى ، وجمع أشتات المسائل للشيخ شمس الدين الخطيب الشربينى ٠

ورأيت رسول الله ﷺ فى حياة الشيخ نور الدين الشونى ، وشهد له رسول الله ﷺ بالتواضع ، وذلك انى رأيت مقصورة الجامع الأزهر قد فرشت كلها بالحرير الأخضر ، حتى الحيضان والسقف والعمد ، ورأيت الشيخ نور الدين الشونى جالسا مع رسول الله ﷺ ، والشيخ نور الدين الطندتاوى جالسا بجانب الشيخ نور الدين الشونى ، ورأيت الشيخ شهاب الدين البلقينى ، وجماعة مجلس الصلاة على النبى ﷺ جالسين بعيدا عن رسول الله ﷺ ، فقال شخص : يارسول الله ، ما سبب قرب هذا منك ولم يكن اكثرهم صلاة عليك ؟ فقال رسول الله ﷺ : سبب ذلك كثرة تواضعه وهضم نفسه ٠

وكان شيخنا الشيخ نور الدين رحمه الله يحب الشيخ الطندتاوى ويجله ويكرمه اكثر من سائر اصحابه واقرانه حتى كأنه ولده البار بوالديه، وكان الشيخ محمد الشتاوى شيخنا يحبه ويصفه بصفاء السريرة ، وعدم محبته الدنيا ويقول : ان الشيخ نور الدين الطندتاوى من أجل أصحابنا واخواننا وأكثرهم تواضعا ، ويصفه بعدم الحسد والغل والحقد والكبر والرياء والنفاق وكأن الله تعالى لم يخلق فيه شيئا من أمراض الطريق(٢)٠

ولما افترى على بعض الحسنة .أننى ادعيت الاجتهاد المطلق ، وكان غالب أصحابى يتكلمون فى مرضى الا هو وبعض المتورعين من طلبة

---

(١) سقطت من ب ، ج ٠

(٢) يريد طريق الصوفية ، ومن أهم أمراضه : الرياء والكبر والحسد والدعوى وغيرها ٠

العلم ، وكذلك لما دس بعض الحسدة فى مؤلفاتى كلمات تخالف ظاهر الكتاب والسنة بادر غالب الناس الى الكلام فى عرضى الا هو والشيخ شمس الدين الخطيب وبعض جماعة ٠ فجزاه الله عنى وعن المسلمين خيرا ، فلم يزل يحمل الناس على أحسن المحامل ويقول اذا بلغوه عن احد كلاما غير مرضى ، هذا كذب على فلان ، وحاشا فلان ان ينطق بذلك(١) ٠ وأعطاه محمد بن بغداد مالا جزيلا لحضرته فلم يقبله ، فقلت له : فرقه على الأيتام ومجاورى الجامع الأزهر ، ففعل ٠

وما سمعته مدة صحبته لى يذكر احدا من المسلمين بسوء ولا يحسد أحدا من اقرانه على وظيفة حصلت له ٠ فأسأل الله تعالى أن يزيده من فضله ٠ آمين ٠

الشيخ شمس الدين الخطيب الشربينى

ومنهم الأخ الصالح العامل المقبل على عبادة ربه ليلا ونهارا الشيخ شمس الدين الخطيب الشربينى رضى الله عنه ٠ صحبته نحو اربعين سنة ما رأيت عليه شيئا يشينه فى دينه ، ولم أر فى اقرانه مثله فى حفظ الجوارح ، وغفلته فى السعى على الدنيا ووظائفها ، ومضايقة اهلها ، ولم يزل مكبا على الاشتغال بالعلم والعمل به وتعليمه للناس ، لا تجده الا فى مطالعة علم او صلاة أو قراءة أو صامتا ، يتفكر فى أهوال يوم القيامة ، وله تهجد فى الليل ، وصيام كثير فى النهار ، ولم اسمعه مدة صحبتى له يذكر أحدا من اقرانه بسوء ، ولا يحسد أحدا منهم على ما آتاه الله تعالى من علم أو مال أو اقبال من الأكابر ، ولا غير ذلك من رعونات النفوس ، وما رايت من اقرانه اكثر اعتكافا منه فى رمضان وغيره ،

(١) ليس معنى هذا أن يسكت على خطأ ولكن كان يدافع عن العلماء العاملين ما دس عليهم ٠

ومن عادته ان يدخل الجامع الأزهر أول ليلة الصيام فلا يخرج الا بعد صلاة العيد .

وقد أخبرنى ولده سيدى عبد الرحمن انه لا يتمشى دائما فى رمضان الا بعد صلاة التراويح ، فيأكل لقيمات يسيرة ، ويشرب ماء كثيرا ، وحجت معه حجتين ، فما رأيت احدا فى اقرانه اكثر مشياً منه ، فلا يركب الا بعد تعب شديد ، ويعزم عليه الجمال أن يركب فيأبى رحمة بالحمل .

ورأيت شخصا سمينا من طلبة العلم اشتكى جماله لأمير الحج الذى قال له : امش شيئا عن الجمل فى الأرض . فبان الصدق بين الرجلين ، مع أن هذا السمين لا يعده الشيخ شمس الدين انه يصلح ان يكون من طلبته .

ولم يزل من حين يخرج من بركة الحاج يعلم الناس المناسك وآداب الطريق وكيفية القصر والجمع ، ويحثهم على الصلاة ، وربما يعطى السائل عشاءه ويطوى تلك الليلة ، وكان غالب سفر الحج ومدة اقامته بمكة صائما لا يفطر فى غالب لياليه ، يكتفى بشرب الماء من زمزم ، وما رايت اكثر تلاوة للقرآن منه ، ولا اكثر طوافا مدة اقامته بمكه ، وطلبت يوما ان أساويه فلم اقدر على ذلك .

واما خشوعه وتدبره فى القرآن فغريب فى اهل مصر ، وكذلك حبه للخمول وعدم الشهرة مدة إقامته بمكة ، فلا يكاد واحد يعرفه . لا يحرم الا وحده ، ويجلس بين الفقراء الذين لا يعبأ بهم فلا يكاد احد يعرفه الا بجهد . وغالب من يحج من طلبة العلم ربما يكون بالضد من ذلك ، فيود أن أهل مكة يعرفونه ، ويبدى لهم العلوم الغريبة ، ويجد فى نفسه حلاوة من ذلك ، وبعضهم يخرج من مكة ممقوتا لريائه ونفاقه فى حضرة الله تعالى الخاصة .

وقد رأيت من يدعى الصلاح يصرخ فى مكة بانه اعلم من فى مصر والشام والروم ، وبلغه ان الشريف عزم على زيارتى ، فلم يزل يتوسل اليه حتى ترك زيارتى خوفا ان يميل عنه الى كثرة نصبى وبحبلى ،

فضحكت من ذلك ، فان من قواعد طريقتنا انى لا امكن احدا من الأكابر ان ياتى الى ، وان علمت عزمه على زيارتى ذهبت اليه انا ، والحمد لله رب العالمين ·

اخذ الشيخ شمس الدين العلم عن جماعة من علماء مصر ، كالشيخ ناصر الدين اللقانى ، والشيخ جمال الدين الصافى ، والشيخ ناصر الدين الطبلاوى ، والشيخ شهاب الدين الرملى ، وتبحر فى العلوم على أيديهم ، واجازوه بالافتاء والتدريس ، فدرس وافتى فى حياة اشياخه وانتفع به خلائق لا يحصون · واجمع اهل مصر على دينه وصلاحه ، ووصفوه بالعلم والعمل والزهد ، وكثرة النسك والعبادة · وشرح كتاب منهاج الفقه ، وكتاب التنبيه شرحين عظيمين ، جمع فيهما تحريرات اشياخه بعد الشيخ زكريا ، واقبل الخلائق على كتابتهما وقراءتهما عليه ، وما رأيته قط يسعى على شىء من امور الدنيا ، ولا على شىء فيه رئاسة ، ولا يزاحم احدا على صحبة احد من الولاة والقضاة ، بل ربما لا يعرف احدا منهم ·

وتفضل على بزيارتى ما لا احصى له عددا ، ولما عجزت عن مكافاته علمت ان الله تعالى اراد ان يكون له الفضل على ، وما رأيت أخف زيارة منه ، ولا اكثر ادبا ، وما دق على الباب قط ، بل يقف على الباب ساعة ، فان لم يفتح له احد رجع وقرا الفاتحة مشرحا غير متأثر من ذلك ، وقل ان يقع مثل ذلك من طلبه العلم ، بل يدق بعضهم على الباب ، فان لم يحبه احد سب ، ولا خلى ولا الفى ، وحملنى على أسوا المحامل واشرها ، وربما دخلى على هجما ، ويرى له الفضل على ، فلا يخرج من عندى حتى اصبر كانى شربت رطلا من السم ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ·

وقد باسطت الشيخ شمس الدين الخطيب يوما فقلت له : كيف تجىء لمثلى ، فلا يفتح لك ولا تتكدر ؟ فقال : قد قال الله تعالى : « وان قيل

لكم ارجعوا فارجعوا ، هو ازكى لكم » كيف اتغير من حصوله لى ؟ فقلت : جزاك الله عن اخوانك خيرا ٠

وبالجملة فأوصافه الحسنة تجل عن تصنيفى ، فأسأله تعالى أن يزيده من فضله ، ويحشرنا فى زمرته مع العلماء العاملين ٠ آمين ٠

الشيخ ابو البقاء بن جبيلات

ومنهم الشـيخ الصالح العالم الورع الزاهد أبو البقاء بن جبيلات القاضى بجامع الصالح صحبته نحو خمسين سنة فما رايته زاغ عن الشريعة المحمدية بل نشأ فى فقه وعبادة وورع وزهد وتلاوة قرآن وعلم ٠

أخذ العلم عن جماعة من مشايخ الاسلام ، كالشيخ زكريا ، والشيخ برهان الدين بن أبى شريف ، والشيخ كمـال الدين الطويل ، والشيخ سعد الدين الذهبى ، والشيخ عبد الحق السـنباطى ، وأجازوه بالافتاء والتدريس ، تولى القضاء بإشارة بعض الأولياء ، فكلما عزل نفسه تعيده الولاة الى القضاء ويسـلم الأمر الى الله تعالى ، واجمع الناس على أنه ليس فى مصر الآن مثله ، ولا مثل محب الدين المـالكى فى الدين والورع ، وقدموه على جميع اقرانه وقالا : ان القضـاء يتحتم على مثله لمـا علموه من شـدة دينه وعدم قبوله الرشـوة من أحد مطلقـا لا سرا ولا جهرا ، هـذا على كثرة ضبط جوارحه عن المخالفات ، وكثرة تلاوة القرآن فى المصحف نهارا وليلا فى التهجد ، وما ضبطوا عليه قط أنه حسد أحدا ولا ذكره بسوء ولا زاحم على شىء من مناصب الدنيا ٠

واخبرنى من يخالطه بالليل أنه لم ينم من الليل الا قليلا ، ثم يقوم فى دهليز داره ٠ واخبرنى المقدم احمد الكافورى قال : ما مررت قط مع الولى فى الليل الا وجدت الشيخ أبا البقاء يتلو القرآن خلف باب داره ٠

ومما يؤيد ذلك أننى لم ازل ارى الشيخ أبا البقاء ساكنا فى قبة عظيمة وسط تربة واسعة ٠ فأول ذلك بحياته وموت جيرانه ، لقيامه بالليل وكثرة

نومهم . واخبرنى الشيخ شهاب الدين بن مخلطة صهره انهم ما ضبطوا عليه قط انه نام عنه عياله بالليل سوى لحظة واحدة .

ولما حججت سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة قال لى اخى سيدى محمد الحنفى الشاذلى : امرادنا ان نجتمع بأحد من الأولياء بمكة ؟ فقلت له : ان هذه حضرة الله الكبرى ، فلا يكاد احد يظهر فيها ، ولكن نسال الله تعالى ان يطلعنا فى هذه الليلة على احد ممن اصطفاه لحضرته فى هذا الزمان ، ولا يعلم بنفسه ، وكنا فى الحجر تحت الميزاب فى ليلة مقمرة فتواطات رؤيتى بين النائم واليقظان ، اذ دخل على اثنا عشر رجلا من فتحتى الحجر الغربية ، وامامهم شخص طويل القامة ينادى بأعلى صوته : هؤلاء الاثنا عشر رجلا ممن اصطفاهم الله لحضرته ، ولا يعلمون بأنفسهم ، وكان أول داخل منهم الشيخ أبو البقاء هذا ، ثم الشيخ حسن الحديدى بجامع الأزهر ثم الشيخ عبد القادر ، ثم الشيخ مبارك بسوق اللوق ، ثم بقية الجماعة .

فعلمنا بهذه الرؤية مقامة فى الولاية الكبرى . وعزل نفسه من القضاء فأخبرت بذلك سيدى على الخواص رحمه الله تعالى فقال لى : كلمة يطلب القضاء بمحكمة جامع الصالح ، لقربها من بيت الوالى ، ليصير يلاطف أرباب التهم والجرائم ، فان بيت الوالى قطعة من نار جهنم ، وأنت جعلك الله رحمة . فسمع من الشيخ ، فلم يزل فيها الى وقتنا هذا .

وعزله بعض قضاة العساكر لما قالوا له : ان أمره مشغول بالعبادة ويفرط فى المحصول ، فوقف أهل مصر للباشا محمد ، ومالوا فى رده للقضاء ففعل . وقالوا له : يا مولانا ليس فى بلدك كلها مثله .

فأسال الله تعالى ان يزيده من فضله علما وعملا ، وزهدا وورعا وخشية منه تعالى حتى يلقاه وهو راض عنه .

الشيخ محمد بن شهاب الدين الرملى

ومنهم الشـيخ الامام العالم العـلامة المحقق صاحب العلوم المحررة والأخلاق الحسنة ، والأعمال المرضية ، سيدى محمد ، ولد شيخنا الشيخ شهاب الدين الرملى صحبته من حين كنت أحمله على كتفى الى وقتنا هذا ، فما رأيت عليه شيئا يشينه فى دينه ، ولا كان يلعب فى صغره مع الأطفال ، بل نشأ على الدين والتقوى والصيانة وحفظ الجوارح ونقاء المرض ٠

رباه والده فأحسن تربيته على زيادة التوفيق من الله عز وجل ٠ ولمـا كنت أحمله على كتفى وانا اقـرأ على والده العلم فى المدرسـة الناصرية كنت ارى عليه لوامح الصلاح والتقوى والتوفيق ، وحقق الله تعالى رجاءنا فيه ، وأقرا عين المحبين ، فانه الآن مرجع اهل مصر فى تحرير الفتاوى ٠ واجمعوا على دينه وصلاحه وورعه وحسن خلقه ، وكرم نفسـه ، ولم يزل بحمد الله فى زيادة من ذلك ٠

أخذ رضى الله عنه العلم عن والده فأعناه عن كثرة التردد والتطفل على غيره ، وبث فيه ما كان عنده من الفقه والحديث والتفسـير والأصول والنحو والمعـانى والبيان وغير ذلك ٠

وكانت بدايته كما قيل نهاية ابيه ، وقـد اجمع القوم على ان المريد اذا صح اعتقاده فى شيخه وقبل كلامه بالايمان والتسليم فقد سـاواه فى العلم ، وما بقى لمعلمه عليه الا مقام بالافاضة عليه من علومه(١) ٠

وقـد بث والده جميع ما كان عنده من تحريرات العلوم ، ولمـا مات والده وجلس يدرس فى الجامع الأزهر بعده ابدى لعلماء الجامع الأزهر من علوم والده العجب العجاب ، وما تخلف عن درسـه الا من جهل مقداره أو عمه الحسـد والمقت ٠

---

(١) الافاضـة تكون بتجاوب متبادل بين المريد والشيخ فهى من المريد توجه كامل ، وحينئذ تنطبع كل علوم الشيخ فى القلب المتوجه ٠

وقد بلغنى ان بعض اصحاب الأنفس صار يرسل بعض طلبته يكتب من سيدى محمد ما يتكلم به من المسـائل المتناقضـة ، ويكتب له ما يمشى عليـه من الترجيح ، ثم يصير يلقى ذلك فى درسه ويفتى به ، ولو أن هـذا حضر (حلقة) سيدى محمد لحصل له خير كثير • ولذلك قالوا لا ينال العلم مستحيى ولا متكبر كما قال الامام الشافعى : لا ينال هـذا العلم بالغنى وعز النفس ، وانما ينال بالفقر وذل النفس •

وسمعت من بعض طلبة والده انه سمع والده يقول : تركت محمدا بحمد الله لا يحتاج الى احد من علماء احد من علماء مصر الا فى النادر •

ولم يزل رضى الله عنه له الاعتقاد التـام فى طائفة الصوفية تبعا لوالده ، يجيب فيهم بأحسن جواب • وطالع كتابى «العهود» من أوله الى آخره ، وكذلك أسماء علوم القرآن ، وهى ثلاثة آلاف علم • فقدم اليه بعض الحسـدة سؤالا من مضمونه : انى ادعيت الاجتهاد المطلق ، فبادر بعض الناس وانكر بلوغ احد فى هـذا الزمان الى مثل ذلك ، وتوقف الشيخ وقال : ائتونى بالكتاب الذى فيه ذلك أو بينة عادلة •

فأسال الله تعالى أن يزيده من فضله آمين •

توفى الشـيخ محمد المذكور ، فى الأحد الثالث عشر من جمادى الأولى سنة اربعة بعد الألف •

الشيخ محمد البكرى

ومنهم الشيخ الامام العالم الراسـخ فى العلوم الدينية ، والمنح المحمدية الكامل ابن الكامل سيدى محمد البكرى ، وشهرته تغنى عن تعريفه ، وماذا يقول القائل فى حق من افرغ عليه العلوم افراغا لم يصح لأحد من اهل عصره فيما نعلم • فالناس اجمعوا على أنه ليس على وجه الأرض اكثر علما منه ولا فى غير مصر مثله ، فلا ينكر فضله الا من عمه المقت والحسد• وقـد اعطاه الله تعالى التكلم على أحوال السموات والأرض نقلا وكشفا ويقينا لا ظنـا وتخمينا • وهو جدير بقول بعضهم :

وليس على الله بمستنكر   ان يجمع العالم فى واحد

واجتمعت به مرات ، فما رايت أوسع منه خلقا ، ولا اكرم نفسا ، ولا اجمل معاشرة ولا احلى منطقا ٠

درس وافتى فى علم الظاهر والباطن ، وأجمع اهل الأمصار على جلالته ، ونشأ رضى اله عنه كنشأة والده على التقوى والورع والزهد وعزة النفس حتى اتته الدنيا وهى راغمة ٠ واعرف من منقابه ما لا يقدر الأقران على سماعه ، ولكن سيظهر ذلك فى الدار الآخرة ، فانه بكرى بيقين ، وابو بكر لا يفارق رسول الله ﷺ كما لا يفارق الظل الشاخص ومن كان من رسول الله ﷺ من منزلة لا تحصى مناقبه ٠ ومما يدل على صحة نسبه الى الامام ابى بكر الصديق ما رايته بمكة المشرفة ٠

وذلك ان بعض الحسدة ذكر سيدى محمد بغيبة فزجرته عن ذلك فلم ينزجر ، ثم رأيت الامام ابا بكر رضى الله عنه وهو يقول لى : جزاك الله عن ولدى خيرا ٠ فعلمت صحة نسبه بذلك ٠

وكذلك وقع شخصا ذكرنى بسوء فى حضرة الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه وهو ساكت ، فعتبت عليه فى نفسى ، فرأيت الامام ابا بكر رضى الله عنه وهو يقول لى استغفر الله تعالى عن ولدى رضى الله عنه ٠

الشيخ نور الدين بن ابى الطباخ

ومنهم الشيخ الامام العالم العلامة الورع الزاهد الخاشع الخائف من الله عز وجل الشيخ نور الدين بن ابى الطباخ الشافعى ٠

صحبته نحو عشرين سنة فما رأيت احدا اكثر اطلاعا على مذهب الصحابة والتابعين ومن بعدهم منه ، وله فى ذلك من الحوادث من المسائل مؤلفات جيدة تذكر فى مؤلف من النقول ما تقر به العيون ورأيت فهرسها كراسا كاملا ، وله الباع الطويل فى علم الأصول ، لا سيما علم الكلام ، فانه اشعرى زمانه فيها ٠

أخذ رضى الله عنه العلوم عن شيخ الاسلام زكريا ، وعن شيخ الاسلام برهان الدين بن أبى شريف وعن شيخ الاسلام كمال الدين الطويل، وعن الشيخ شرف الدين بن زرون وغيرهم .

وأخذ طريق القوم عن جماعة منهم الشيخ نور الدين المرصفى ، والشيخ ابو السعود الجارحى وغيرها ، وله فى الطريق وقائع عظيمة تؤذن بكماله فيها وبلوغه مبلغ الرجال . واخبرنى انه كوشف بمقدار علمه، وله حرص عظيم على افادة من يجده من أهله اهلا لها ، ، فان لم يجد من هو اهل لذلك كتمه عنه .

واخبرنى عى الشيخ شهاب الدين الأذرعى من اكابر الشافعية انه كان كذلك وربما قام من مجلس المناظرة مغلوبا وهو يعرف المسألة التى يقطع بها الخصم ، اذا لم يجد الخصم لها أهلا .

ومن خلقه قبول الفائدة ممن لا يصلح تلميذا له ، ثم يصير ينشر ذلك عنه ، ويقول : افادنى فلان كيت وكيت ، حتى كنت اذكر له فائدة من كلام القوم . فيقول اكتبها لى ، فافعل ، ثم يقراها ويقول : هــذا كلام فلان يكتب بماء حدق العيون .

ومن خلقه محبة الخمول وعدم التظاهر بالأعمال الصالحة حتى يظن طلبته وغالب الناس انه جاهل .

وكان الشيخ أبو المواهب الشــاذلى يقول : اذا بلغ العارف الكمال فى العرفان صار غريبا فى الأكوان ، لا يعرفه الا من اشرف على مقامه ، وقليل ما هم . ثم قال :

وما غربة الأوطــان فى شــقة النــوى
ولكنهــا والله فى عــــدم الشــــكل

فاسأل الله تعالى من فضله أن ينفعنى ببركاته فى الدنيا والآخرة .

الشـيخ شمس الدين العلقمى

ومنهم الشـيخ الصالح الامام العالم العلامة الورع الزاهد الخاشع المهيب الشيخ شمس الدين العلقمى الشافعى رضى الله تعالى عنه ٠

أخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ شهاب الدين الرملى ، والشيخ ناصر الدين اللقانى وغيرهما ، واجازوه بالفتوى والتدريس ، فدرس وأفتى بجامع الأزهر وغيره ، وانتفع به جماعة كثيرة فى تحقيق العلوم الشرعية والعقلية ، وله الاعتقاد التـام فى أهل الطريق ، ويجيب عنهم بأحسن جواب لمن لا يفهم كلامهم ، وله عدة مؤلفات منها ملتقى البحرين جمع فيه كلام الشيخين رضى الله عنهما ٠

صحبته نحو عشرين سنة فما رأيت عليه شيئا يشينه فى دينه ، قوالا بالحق ناهيـا عن المنكر ، ويواجه بذلك الأكابر والأصـاغر ، لا يخـاف فى الله لومة لائم ، وربما اجتمع عليه خلائق وتعصبوا عليه بالباطل ، فنصره الله عليهم ، وله توجه عظيم فى قضـاء حوائج اخوانه اذا أصاب احدا منهم بلاء ، لا يتهنأ بنوم ولا عيش حتى يزول ذلك البلاء ٠

ما سمعته يذكر احدا من أقرانه الا بخير ، وعمر عـدة جوامع فى بلاد الريف ، ورتب لها الشعائر وما رأيته قط يزاحم احدا من أقرانه على دنيـا أو جاه أو صيت ، وله تهجـد عظيم فى الليل ، ومناقبـه رضى الله عنـه كثيرة ٠

الشـيخ شمس الدين الصفدى

ومنهم الشيخ الامام العالم الصالح النحوى الصوفى الشيخ شمس الدين الصفدى المقدسى الواعظ بالجامع الأزهر وغيره ٠

صحبته نحو ثلاثين سنة من حين كان شـابا ، لم يزل من صغره يحب العزلة عن الناس ، مشتغلا بالعلم والعمل ، حافظا للسانه ، مقبلا على شانه ، حتى تبحر فى العلوم الشرعية والعقلية ، وطلب طريق القوم ٠

فاجتمع على سيدى محمد بن عراق(١) واقبل عليه اقبالا عظيما ، وفرح به اشـد الفرح ، ولم يلتفت الى الدنيـا ولا الى مناصبها من حين كا صغيرا الى وقتنا هـذا .

وما رايته يذكر احدا بسوء من المسلمين ، ومجالس وعظه كلها خير وبركة وخشـوع وأدب ، وتفشى الرحمة جميع من حضر فيها . وما رايته قط يتردد الى احد من الولاة والأكابر ، ولا يتعرف الى من لا يعرفه ، وله درس عظيم فى الجامع الأزهر وغيره ، وانتفع به خلائق ، فأسأل الله تعالى أن ينفعنا ببركاته فى الدنيا والآخرة .

الشيخ ناصر الدين الدمنهورى

ومنهم الأخ الصالح العالم العلامة القائم فى دين الله تعالى بالتأييد ، لا تأخذه فى الله لومة لائم ، المهاجر بأولاده وعياله فى طلب الزيادة من العلم ، الشيخ ناصر الدين الدمنهورى .

وما رأيت فى عصرنا هـذا قط من مهاجر من بلاد فى طلب العلم هو وأولاده غيره ، وله حرص على اتبـاع السنة منه ، وصدق والله من لقبه بناصر الدين ، فانه يكاد يتميز من الغيظ اذا راى احدا يخالف السنة فى قوله أو فعله ، وقام فى هدم الكنيستين فى ناحية « لقانة » وبلده حتى هدمهما . وعارضـه فى ذلك جمع من الولاة ، وخذلهم الله تعـالى ونصره عليهم .

وما رأيت مثله فى القيام بحق الأخوة والصحبة والضيوف والواردين عليه فى بيته لأن مورد العام والخاص .

افتى ودرس العلم ببلاده ، وانتفع به خلائق ثم وصل الى مصر بقصـد الزيادة من العلم وما رأيته قط يأكل طعام احد من الولاة واعوانهم.

---

(١) هـو صاحب كتـاب تنزيه الشريعة عن الأحاديث الشـنيعة الموضـوعة .

وله تجهد عظيم وأوارد عظيمة كثيرة فى الليل ، جميل المعاشرة ، حلو اللسان ، كثير الحيـاء والأدب ، لا يكاد يرفع صوته فى وجه جليسه .

فأسـأل الله تعالى أن يزيده من فضله ، وينفعنا ببركاته فى الدنيا والآخـرة .

الشيخ شهاب الدين الطريتى

ومنهم الأخ الصالح العـالم العـلامة الكامل الورع الزاهد الشـيخ شهاب الدين الطريتى الشافعى رضى الله عنه . نشأ رضى الله عنه على الفقه والزهد فى الدنيا والورع والتخلق بالأخلاق المحمدية الحسـنة ، والتلبس بالشيم المرضية .

صحبته من منذ كان صغيرا ، فما رأيته أعرض عن الاشتغال بالعلم والأدب ، ودخل مصر وانا رجل أطالع فى شرح الروض وغيره ، فتعلم الخط ، وحفظ القرآن والبهجة من مدة يسيرة ، وشرع فى شرح ذلك على الأشياخ ، ففتح الله تعالى عليه فتوحا عظيما ، حتى صار يدرس العلم لأمثالى ويفيدهم الترجيحات . فالله تعالى يزيده من فضله .

ومن جملة من أخذ عنهم العلم الشيخ شمس الدين الدواخلى وشيخ الاسـلام كما الدين الطويل ، والشـيخ شهاب الدين الرملى ، والشـيخ ناصر الدين اللقانى ، وأجازوه بالافتاء والتدريس ، ودرس وافتى فى حياة أشياخه ، وانتفع به خلائق لا يحصون فى جامع الغمرى وغيره .

ومنهم حين صحبته ما رأيت عليه شـيئا يشينه فى دينه ، بل لم يزل على المروءة والنهضة والهمة وقضاء حوائج الناس ، ويقدمها على مهمات نفسه حتى انه سافر الى المحلة الكبرى فى قضاء حوائج الفقراء ، ويتعصب لهم فى الخير ، ويعين الفقراء على التزويج ووفاء الديون ، وله اعمال سرية لا يطلع عليها احد الا الله عز وجل . فأسأل الله تعالى ان يزيده من فضله آمين .

الشيخ شمس الدين الطنيخى

ومنهم الشيخ الامام الأخ الصالح العالم العلامة المجمع على جلالة وكثرة نفعه للعباد حتى كان سداه ولحمته خير الشيخ شمس الدين الطنيخى الشـافعى ، رضى الله عنه من حين كان بلا لحية حتى شاب فما رأيت الى الآن عليه شـيئا يشينه فى دينه ، بل ربى على التقى والطهارة الظاهرة والباطنة ، وتخلق بالأخلاق الحسـنة ، ولم يزل من صغره الى الآن حافظا للسانه مقبلا على شأنه ، معظما لاخوانه ، كريم النفس ، كثير الحياء والأدب ، زاهدا ورعا خاشعا خائفا من الله عز وجل ، يبكى اذا سـمع بأحوال الصالحين ٠

وما رايته قط يزاحم على شىء من وظائف الدنيا ، ولا يتردد الى احـد من اهلهـا الا لضرورة شرعية ، وما سـمعته قط يذكر أحـد من المسـلمين بسوء ٠

اخـذ رضى الله عنه العلم عن جماعة عن الأكابر ، منهم : الشيخ ناصر الدين اللقانى ، والشيخ شهاب الدين الرملى ، واجازوه بالفتوى والتدريس ، فدرس وافتى وانتفع به خلائق ٠

وكان والده الشيخ محمود عبدا صالحا من اهل القرآن والخير ، وذريته بعضها من بعض ، وله ولد صالح اسـمه عبد الرحمن نشأ على خير وتقوى وكمال وعلم وعمل وقرأ على كتاب السنن الكبرى للبيهقى ٠ فأسأل الله تعالى من فضله ان يرفعه الى مقدار والده وزيادة ، وأن ينفعنا ببركاته ، وبركات والده ، فى الدنيا والآخرة ٠

الشيخ نور الدين القبيلى

ومنهم الشيخ الامام العلامة المفتى فى العلوم النقلية والعقلية الشيخ نور الدين القبيلى ، صحبته نحو عشر سنين فرأيته على جانب عظيم من الخشـية لله تعالى والبكاء عند سـماع القرآن والمواعظ ، وله تهجد عظيم فى الليل ، واوراد لا يطلع عليها الا الله تعالى ، ثم اهل الكشف ،

وربما تهجد بنصف القرآن واكثر فى ركعة واحدة كما اخبرنى بذلك بعض الصالحين ، فازددت فيه محبة ٠

وله حاشية عظيمة على كتاب المغنى ، وله الباع الطويل فى علم الكلام والعقائد ، والغالب عليه احوال الصالحين الملاثية(١) ، فلا يكاد واحد يعرف له مقاما ، لأن اعماله قلبية وسرية ، وقلبه طواف بحضرة الله تعالى ، حتى ربما ذهل عن جليسه ٠

ولولا حجاب المفاخرة على قلوب اخوانه لأبديت من اخلاقه عجبا ٠ ولكن يكفينا من اعماله الكرم وحسن الخلق ، وكثرة الحياء والأدب ومحبة الصالحين وحسن اعتقاده فيهم ، وكف جوارحه عن المخالفات ، فالله يزيده من فضله ابدا ما عاش آمين ٠

الشيخ شهاب الدين بن حجر

ومنهم الشـيخ الامام العالم العلامة المحقق الصالح الناسك الشـيخ شهاب الدين بن حجر الشافعى ، نزيل الحرم المكى ٠

اخذ العلم عن مشايخ الاسـلام بمصر والحجاز ، وانتفع به خلائق لا يحصون ، وهو احد شهودى على الشيخ محمد الشناوى فى اذنه لى بتربية المريدين وتلقينهم الذكر ٠

صحبته رضى الله عنه نحو اربعين سنة فما رايته قط اعرض عن الاشتغال بالعلم والعمل ٠ صنف رضى الله عنه عدة كتب نافعة محررة فى الفقه والأصول والمعقولات ٠ واختصر كتـاب الروض لابن المقرى وشرحه شرحا عظيما جمع فيه من الفرائد ما لا يوجد فى كتب شيخ الاسـلام زكريا

---

(١) الملاثية قوم من الصوفية يرتكبون اعمالا مباحة منفرة ، لينفض الناس من حولهم وينعمون بالعزلة مع الله تعالى ٠ وليس منهم من يرتكب افعالا محرمة ٠

ولا غيره ، حتى عارضه بعض الحسـدة فسرقه ورماه فى المـاء كما قيل ، فاستأنف الشرح ثانيا وكمله ، وشرح الارشاد شرحين عظيمين ، وانتفع به خلائق فى مصر والحجاز واليمن وغير ذلك : وهو مفتى الحجاز الآن ، يقفون كلهم عند قوله .

وله اعمال عظيمة لا يطلع عليها الا من كان خليا من الحسد ، ومن صغره الى الآن لم يزاحم على شىء من أمور الدنيـا ، ولا تردد الى حـد من الولاة الا لضرورة شرعية ، فأسأل الله تعالى ان يزيده من فضله ، وينفعنا ببركاته فى الدنيا والآخره .

الشـيخ شمس الدين الفرضى

ومنهم الشيخ الامام العالم الفقيه : شمس الدين الفرضى السـنهورى الشافعى صحبته نحو عشرين سنة فما رايته على بدعة ولا جالسـا على حدث ، وهو دائم التجهد فى الليل بربع القرآن ، وله اليد الطولى فى علم الفرائض والحسـاب . وشرح الترمذى شرحـا فى مجلدين ، وله النظم الشـائع .

اخذ العلم من مشـايخ الاسـلام ، واجاوزه بالفتوى والتدريس . منهم شيخ الاسـلام زكريا ، وشيخ الاسـلام كمال الدين الطويل ، وعليه المعول الآن فى العربية وفى الفتوى ، وله خلق عظيم واحتمال للأذى وقناعة ، والكثر أيامه صائما لا يفطر ، وما دعوته قط لطعام الا وجدته صائما ، وما رايت فى أقرانه أكرم منه نفسـا ، فأسأل الله تعـالى ان يزيده من فضله ، ويحشرنا فى زمرته .

الشيخ كمال الدين بن الموقع

ومنهم الشـيخ الامام العـالم الزاهـد المقبل على عبـادة ربه ، المعتزل عن النـاس فى بيتـه امتثالا لأمر الشـارع فى ذلك كمال الدين ابن الموقـع .

صحبته نحو ثلاثين سنة فما رأيت عليه شيئا يشينه فى دينه ، والغالب عليه الصمت • أخذ العلم عن جماعة من مشايخ الاسلام ، وصحب الشيخ أبا الحسن البكرى ، وتخرج فى علم التصوف ، وتبحر فى علم الأصول والتفسير والقراءات والنحو والمعانى والبيان ، وله عدة مؤلفات فى هذه العلوم • واجازه العلماء بالفتوى والتدريس ، فدرس العلم مدة ثم انقطع فى بيته للعبادة •

وما سمعته يذكر احدا بسوء ، ولا رأيته يتردد الى احد من الولاة وأبناء الدنيا ، ولا يزاحم على شىء من مناصبها • فأسأل الله تعالى أن يزيده من فضله آمين •

الشيخ تقى الدين الأشمونى الأقطع

ومنهم الشيخ الامام العالم الصالح الورع الزاهد الشيخ تقى الدين الأشمونى الأقطع الشافعى •

أخذ العلم عن الشيخ برهان الدين بن ابى شريف ، وعن الشيخ جلال الدين السيوطى وغيرهما ، وأجازوه بالافتاء والتدريس ببلاد الأشمونية ، فدرس فيها وأفتى ، ثم قدم مصر واستوطنها ، ودرس فى المدرسة الخلفانية ، نيابة عن الشيخ ناصر الدين الطبلاوى ، وفى جامع ابن طولون ، وفى جامع يونس خارج قناطر السباع ، وأفاد الطلبة علوما جمة •

صحبته رضى الله عنه نحو عشرين سنة الى وقتنا هذا ، فرأيته يحفظ نقول مذهب الامام الشافعى عن ظهر قلب ، وكان رضى الله عنه فى غاية الزهد والورع والخشية من الله عز وجل لا يكاد يسمع شيئا من القرآن ، أو شيئا من احوال السلف الصالح الا ويبكى ، ولبس من ثيابى جبة وقميصا وقلنسوة تفضلا منه ، وقطعت يده ظلما فى أيام « خاير بك » ملك الأمراء فى قصة طويلة رضى الله عنه وحشرنا فى زمرته آمين •

الشيخ جمال الدين بن زكريا الأنصارى

ومنهم الشيخ العالم الصالح الزاهد الشيخ جمال الدين ، ولد شيخنا شيخ الاسلام زكريا الأنصارى رضى الله عنه ٠

أجمع الناس على صلاحه وزهده وورعه ، وما رأيت اصبر على الوحدة منه ، صحبته نحو اربعين سنة فلم أره مشتغلا بما لا يعنيه فى فى وقت من الأوقات ، بل طول نهاره وليله كان مشتغلا بالعبادة ، اما تلاوة قرآن أو علم او تفسير أو قراءة أو راد أو صامت او مراقب متفكر فى أمر معاده ٠

وقد ربى فى نزاهة وطاعة وعدم خروج عن دائرة والده ٠ وقد اجتمعت به بعد أن دارت لحيته فقال : طول عمرى ما خرجت من الدار ، ومقصودى أنظر ما بين القصرين وباب زويلة ٠ فقلت : ان شاء الله تعالى يشرب الشيخ الدواء وأمشى معك الى ما ذكرت ٠

ثم أن الشيخ كان لا ينفك عن مطالعة العلم والتاليف يوما واحدا من حين كف بصره ، فمرض الشيخ وشرب دواء وخرجت معه الى ما طلب ، فراى الكنافة ، فقال : ما كنت اظن أن الكنافة تعمل الا فى رمضان ٠

ثم قال لى : مرادى أرى البحر ، فان عمرى ما رأيت البحر ولا المراكب فخرجت لما مرض الشيخ ثانى مرة فصار يتعجب اشد العجب ، ثم بعد موت والده لازم خلوة والده فى النهار ، فلا يركب الا لزيارة والده أو للبيت ، ولا يتردد لأحد مطلقا ٠

وهو ممن جعله الله على الأخلاق المحمدية وضبط الجوارح ، حتى أن كاتب الشمال فى ظنى لا يجد شيئا يكتبه عليه فى ليل ولا نهار ، لكثرة حضوره مع الله تعالى ، وكثرة خوفه ٠

ودرس العلم بالمدرسة الصلاحية بجوار الامام الشافعى ، رضى الله تعالى عنه وبالجملة فأخلاقه وصفاته الجميلة لا تحصى رضى الله عنه ٠

وحضرت أنا واياه على والده شرح على رسالة القشيرى فى التصوف، وكتاب آداب القضاء ، وأدب البحث ، وشرحه التحرير وغير ذلك ، رضى الله عنه ولطف به آمين اللهم آمين .

الشيخ شهاب الدين الشنشورى

ومنهم الشيخ الصالح الشيخ شهاب الدين الشنشورى الشافعى رضى الله عنه ، صحبته نحو عشر سنين فما رأيت عليه شيئا يشينه فى دينه ، وأعماله السرية أكثر الجهرية . ودرس العلم بالجامع الأزهر وغيره . والغالب عليه محبة الخلفاء ، وما رأيته قط يذكر أحدا من أبناء الدنيا الا لضرورة .

وما رأيته قط يذكر أحدا من المسلمين بسوء ولا بغتابة ولا يزاحم على شىء من الدنيا ، ولما كنت أسهر فى الجامع الأزهر فى رياقة الليل فأجده اما مصليا أو قارئا ، واما يطالع العلم ، واما جالسا واضعا رأسه فى طوقه ، فكان يعجبنى حاله وحال الشيخ شمس الدين الترجمان ، وحاول الشيخ ناصر الدين الطبلاوى ، وما رأيت أكثر اشتغالا منه فأسأل الله أن يزيده من فضله .

الشيخ شمس الدين النبتيتى

ومنهم الشيخ الصالح الورع الشيخ شمس الدين النبتيتى الشافعى رضى الله عنه . صحبته نحو عشرين سنة ، وحضرت أنا واياه على شيخ الاسلام زكريا ، فقرأنا شرح التحرير وغير ذلك ، وأجازه بالفتوى والتدريس فدرس وأفتى بالجامع الأزهر .

وكان رضى الله عنه عنيفا لطيفا ورعا زاهدا ، خائفا من الله عز وجل ، جميل المعاشرة حسن الخلق ، تعلو أصوات الطلبة عليه ، ويخاطبونه بألفاظ الجفاء فيتحملهم ، وما سمعته رضى الله عنه يذكر أحدا من المسلمين بسوء . وكان شيخ الاسلام زكريا يحبه أشد المحبة ،

وكانت له عدة مؤلفات ، وما رايته رضى الله عنه زاحم على وظيفة ، ولا سأل احد فيما لا يعنيه ٠

وكنت اذا رايت وجهة تذكرت احوال السلف من النور والبريق الذى كان على وجهه رضى الله تعالى عنه ٠

الشيخ نور الدين المحلى

ومنهم الامام العالم العلامة الشيخ نور الدين المحلى الشافعى المقيم بالمحلة الكبرى الآن ٠ اخذ العلم عن شيخ الاسلام كمال الدين الطويل ، وعن الشيخ شمس الدين المسيرى ، وعن شيخنا الشيخ شمس الدين الدواخلى بجامع الغمرى بالقاهرة ، ودرس العلم وافتى بالمحلة الكبرى ، ووعظ الناس ، وشرح عدة كتب فى فقه الشافعة ، وانتفع به خلائق لا يحصون٠

وله توجه تام الى الله تعالى ، وتهجد فى الليل ، ينام الانس والجن فى الليل ولا ينام ، وله أوراد عظيمة ، ولم يزل من صغره الى الآن على الأخلاق الحسنة والأدب والحياء ، وكف الجوارح عما لا ينبغى ، يفرح اذا أدبر عنه الناس الى الاشتغال عن أحد من اقرانه ، وهذا من علامة اخلاصه ، رضى الله تعالى عنه ، فاسأل الله تعالى أن يزيده من فضله على ممر الأوقات الى الممات ، آمين ٠

مات رضى الله عنه فى شهر ذى القعدة ، سنة ثلاثين وتسعمائة ودفن فى مقبرة المحلة الكبرى رضى الله تعالى عنه ٠

الشيخ شمس الدين المغربى

ومنهم الشيخ الصالح الزاهد العالم العامل الشيخ شمس الدين المغربى الشافعى ، المقيم بثغر رشيد ، صحبته نحو عشرين سنة ، فرايته على قدم عظيم فى العلم والورع والزهد والخشية وحسن السيرة ، من حياء وكرم ونفس وكثرة أدب ٠

اخذ العلم عن جماعة من علماء مصر ، واجازوه بالفتوى وتدريس العلم ، فدرس وأفتى بعد الشيخ شمس الدين ، وانتفع به خلائق لا يحصون ،

ولم يزل مقبلا على العلم والعمل به من صغره الى وقتنا هـذا ، يقرى الضيف فى بلاده لكل وارد عليه ، ويحمل الكل ، ويعين على نوائب الدهر ، وراثة محمدية ، اذا تكلم بكلام يخطف القلوب من حلاوة كلامه ، وعلى وجهه خشية العلماء العاملين من كثرة البكاء ورقة القلب ٠

الشـيخ ابو الفتح بن الخلال الفوى

ومنهم الشيخ الامام العالم العلامة المقبل على عبـادة ربه الشـيخ ابو الفتح ابن الخلال الفوى الشـافعى ٠

صحبته نحو عشرين سنة فما اظن أن كاتب الشمال كتب عليه خطيئة واحدة كثير الصيام والقيام ، وحفظ الجوارح ، وكف البصر ٠

اخذ رضى الله عنه العلم عن جماعة منهم الشيخ شهاب الدين الرملى ، والشيخ ابى الحسن البكرى ، وأذن له الشيخ أبو الحسن أن يحرر كتبه بعد موته لمـا علمه عنه من تحقيق العلم ، وما رأيت اصبر منه على الوحدة ، أوقاته كلها معمورة بالخير ليلا ونهارا ، وما رايته قط يتردد الى أحـد من ابنـاء الدنيا ، ولا زاحم على وظيفة دنيوية ، ولا ذكر أحدا من اقرانه بسـوء ، ولا حسد أحداً منهم على جاه ، رضى الله تعالى عنه ٠

الشـيخ ابو بكر الجيزى

ومنهم الشيخ الصالح الورع الزاهد الامام العلامة الشيخ أبو بكر الجيزى الشافعى ، صحبته نحو ثلاثين سنة ، فما رايت أحدا من أقرانه على قدمه فى حفظ الجوارح وكثرة الصمت والورع والزهد ، وربما يمكث رضى الله عنه اليوم الكامل لا يتكلم بكلمة لغو ، أخذ العلم بالجامع الأزهر ، وانتفع به خلائق ، ومجلسه مجلس علم وادب وحيـاء وخشية ، زارنى رضى الله عنه فى مكانى مرة وحصل لى لحظ عظيم ، ولا اقوم له بجزاء تلك الخطوات ، فأسأل الله العظيم أن يحشرنا فى زمرته ليأخذ بيدى فى يوم الدين ، فى عرضات القيامة آمين ٠

الشيخ شمس الدين المحلى

ومنهم الأخ الصالح العلامة الشيخ شمس الدين المحلى الشافعى ، احد طلبة الشيخ شهاب الدين الرملى وغيره ، اخذ رضى الله عنه العلم عن جماعات ، وتفنن فى العلوم ، واجازوه بالفتـوى والتدريس ، وافتى وانتفع به خلائق ، وظهر علمه وفضله للعام والخاص ، وله الاعتقاد التام فى طائفة الصوفية ، والتجهد العظيم فى الليل ، جميل المعاشرة ، كريم النفس ، حسن الأخلاق ، ولم يزل فى ازدياد ان شـاء الله تعالى . صحبته عشر سنين فما رايت عليه شيئا يشينه فى دينه ، بل تربى على تقوى وورع وخوف من الله تعالى ، رضى الله عنه ولطف به آمين .

الشـيخ سـلام الفيومى

ومنهم الشيخ الامام العالم الصالح الورع الزاهد الشيخ سلام الفيومى، صحبته نحو عشرين سنة فما رأيت عليه شيئا يشينه فى دينه ، رضى الله تعـالى عنه ، يحب الخمول ويكره الشهرة ، قليل الكلام ، جميل المعاشرة ، حسن الاعتقاد فى العلماء والصالحين ، وما سمعته يذكر أحدا من المسلمين بسـوء ، ولا يزاحم على شىء من أمور الدنيا لا يتردد على أحـد منهم الا لضرورة .

اخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ العلامة عميرة ، والشيخ شهاب الدين الرملى ، والشيخ شهاب الدين عبد الحق وجماعة ، وتبحر فى العلوم على يدهـم ، وأجازوه بالافتـاء والتدريس ، فدرس وافتى فى حيـاة أشياخه ، وانتفع به خلائق ، وهو رضى الله عنه من أشد الناس حبـا لطائفة الفقراء .

واخبر رضى الله عنه بأمور يجدها عند مجالستهم تدل على صدق الاعتقاد وقال : انه يحصل له أنس عظيم اذا جلس عند احد منهم حتى يمتلىء قلبه انسـا ، فاسأل الله تعالى ان يزيده من فضله عملا وعلما وزهـدا وورعا ، وان ينفعنا ببركاته ، آمين اللهم آمين .

الشيخ يحيى المسيرى

ومنهم الشيخ الصالح الورع سيدى يحيى المسيرى رضى الله عنه ، رأس المدرسين بالجامع الأزهر ٠

نشـأ فى علم وادب ونسـك وعبـادة ، لى فى صحبته من حين كان دون البلوغ ، فلم أر عليه شـيئا ، يشينه فى دينه ، وما سمعته يذكر أحـدا بسـوء ٠

أخذ رضى الله عنه العلم عن جماعة من مشايخ الاسـلام كالشيخ ناصر الدين اللقـانى ، والشيخ شهاب الدين الرملى واضرابهم ، وتبحر فى العلوم ، وشرح منهاج النووى شرحا لطيفا ، وجمع فيه فوائد كثيرة ، واجازه أشياخه بالافتـاء والتدريس فأفتى ودرس وانتفع به خلائق ، وهو من الكرم على جانب عظيم ، وله اعتناء عظيم بقضـاء حوائج الناس تبعـا لوالده كما تقدم ذلك فى ترجمته ، وله الاعتقاد العظيم فى طائفة الصوفية ، وتجهد عظيم بالليل ٠

وأما حلاوة منطقه وحسن عشرته فأمر عظيم لا يكـاد جليسه يمل من طول مجالسـته ، وما رايتـه قط يزاحم على شىء من أمور الدنيـا ، ولا يذكر أحدا من اقرانه بسـوء ، ولا غيرهم ، فأسـال الله تعـالى أن يزيده من فضله ٠

الشـيخ احمد الاخنـائى

ومنهم الأخ الصالح سيدى احمد الاخنائى ٠ صحبته نحو نيف واربعين سنة ، فما رايت عليه شـيئا يشينه فى دينه ٠ بل نشـأ فى عفة وخير ، وانكباب على العلم والعمل ، وحفظ الجوارح من الآفات كريم النفس ، جميل المعاشرة ، وما سمعته قط يذكر احدا من اقرانه بسـوء ، وله تجهد عظيم فى الليل وله حرص عظيم على اخفـاء اعماله الصالحة ، حتى لا يكاد أحد من اخوانه يطلع على سر منها ٠

ونمت فى جامع الأزهر ليالى كثيرة ، فكنت أطوف فى الأورقة فى الليل ، فكنت اجد غالبهم نائما الا هو ، فاما يقرأ القرآن بتدبر ، واما يتفكر فى أمر معاده ويبكى ٠

أخذ رضى الله عنه العلم عن جماعة من مشايخ الاسلام ، كالشيخ عبد الحق السنباطى والشيخ زكريا ، والشيخ برهان الدين بن أبى شريف ، والشيخ كمال الدين الطويل ، وتبحر على يدهم فى العلوم ، وأجازوه بالافتاء والتدريس فأفتى ودرس وانتفع به خلائق ٠. فأسأل الله تعالى ان يزيده من فضله آمين ٠

الشيخ ابراهيم العلقمى

ومنهم الأخ الصالح الورع الزاهد العالم العلامة الشيخ ابراهيم العلقمى ٠ اخذ العلم عن جماعة منهم شيخ الاسلام الشيخ شهاب الدين الرملى ، والشيخ ناصر الدين اللقانى ، والشيخ شمس الدين العلقمى ، والشيخ شهاب الدين البلقينى ، واضرابهم ٠ وبرع فى العلوم ، واجازوه بالافتاء والتدريس ٠

وصحبته عدة سنين فرايته على جانب عظيم من المروءة والفقه والزهد والورع وتلاوة القرآن ٠ وما سمعته رضى الله عنه قط يذكر أحد من اخوانه ولا غيرهم بسوء ، لم يز ل مكبا على الاشتغال بالعلم والعمل ٠

فأسأل الله تعالى ان يزيده من فضله علما وعملا وزهدا وورعا وأن يفسح فى أجله حتى ينتفع المسلمين آمين ٠

***

وقد بقى جماعة كثيرة يضيق الزمان عن ذكرهم هنا ولكن ذكرناهم فى كتاب المفاخر والمآثر فى علماء القرن العاشر ٠ وهو كتاب نفيس ٠ فمن اراد زيادة على ما ذكرنا ههنا فليراجعه والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا نهتدى لولا أن هدانا الله رب العالمين ٠

***

واما من صحبناهم من الســادة الحنابلة رضى الله عنهم فمنهم سيدنا ومولانا الشيخ الامام العلامة ·

الشــيخ تقى الدين

ابن شيخنا ومولانا شيخ الاســلام شهاب الدين الحنبلى الفتوحى : الشــهير بابن النجــار ·

صحبته نحو أربعين سنة فما وجدت عليه شــيئا يشينه فى دينه ، بل نشــأ فى عفة وصيانة وادب وعبادة ونســك ·

اخذ رضى الله عنه العلم عن والده شيخ الاســلام المذكور ، وعن جماعة من ارباب المذاهب المختلفة ، وتبحر فى العلوم حتى انتهت اليه الرئاسة فى مذهبه ، واجمع الناس على انه اذا انتقل الى رحمة الله تعالى مات مذهب الامام احمد فى مصر ، وسمعت هــذا القول مرارا من شيخنا شهاب الدين الرملى رحمه الله تعــالى ·

وما سمعته قط يستغيب أحدا من اقرانه ولا غيرهم ولا حسد احدا على على شيء من أمور الدنيا ولا زاحم عليها · وولى القضاء بسؤال جميع اهل مصر فاشار اليه بعض العلماء بالولاية وقال : بيقين عليك ذلك ، فأجاب مصلحة المسلمين ، وما رايت احلى منه منطقا ولا اكثر ادبا مع جليسه حتى يود انه لا يفارقه ليلا ولا نهارا ·

وبالجملة فأوصافه الحسنة تجل عن تصنيفى ، فأسال الله تعالى ان يزيده علما وعملا وورعا وزهــدا الى أن يلقــاه وهو راض عنــه · آمــين ·

الشيخ شهاب الدين البهوتى

ومنهم الامام العالم الصالح الشيخ شــهاب الدين البهوتى ، صحْبته نحو اربعين سنة ، فما رأيت عللیه شــيئا يشينه فى دينه ، فانه نشــأ فى عبــادة ونسك وخدمة للأولياء · خدم القطب الغوث سيدى محمد الشربينى عشر سنين ، ووقع على يديه كرامات وخوارق ، وكان الشيخ محمد يحبه

حبا شديدا . واخبره انه اذا مات وغسل لا يأخذ احد من ماء غسله شيئا الا ابرأ الأكمه والأبرص والأجرب ، فتسامع أوليـاء عصره بذلك فصبوا عليه نحو اربعين جرة من ماء البحر ، فلم يقع منها الى الأرض نقطـة واحـدة ، فعلموا ان الأوليـاء تلقوه من على الدكة ، واخـذوه للتبرك رضى الله عنه .

اخذ العلوم عن شيـخ الاسلام شهاب الدين الشيشينى ومن شـيخ الاسـلام شهاب الدين الفتوحى وغيرهما ، وتبحر فى العلوم رضى الله عنه ، وانحصر على المذهب فيه فى مصر وقراها . والغالب عليه اخفاء اعماله الزكية تبعا لشـيخه الشيخ محمد الشربينى ، فانه من الملاثية(١) رضى الله عنه . له تجهد عظيم فى الليل ، وغالب ايامه صيام ، وما رأيت فى اقرانه اعف ولا ازهـد منه فى الدنيا ، وانما يتظاهر بحبه للدنيـا فى بعض الأوقات سـترا لحاله . فانى خالطته زمانا مخالطـة شـديدة وعرفت حاله .

ولمـا وقع التفتيش على اموال السلطان من جهة العلماء والرزق والأوقاف جاءنى وقال لى مقصودى انهم يفتشوننى ايضـا على الشريعة ، وينظر ما نقص من احكامها فيعيدوه ، بأمر النـاس بالعمل به . فكان ذلك سبب تاليفى كتاب « تنبيه المفترين » على ما خالفوا فيه هـدى الصحابة والسلف والتابعين والعلماء . وبينت فيه ما نقص من اعلام الدين ، وله ذوق عظيم فى طريق القوم ، ما اظن احدا من علماء مصر شاركه فيه الآن ، ويعرف القاب القوم كلها .

وقد ارسل لى مرة بقول : اذا سالك احد حاجة فاشركها بالصباغ . فلم اعرف مراده بالصباغ حتى اعلمنى انه رسـول الله ﷺ لأن حضرته

---

(١) سبق التعريف بهـا .

ﷺ صباغة لكل من دخلها بالخير لكونه رحمة للعاملين واما اهل الدوائر الكبرى فيعرفهم ويعرف مراتبهم حتى كانه تربى بينهم · فأسأل الله تعــالى ان يزيده من فضله ويفسح فى اجله لمنافع المسلمين آمين اللهم آمين ·

* * *

واما بقية اصحابنا فقد ذكرناهم فى كتابنـــا المفاخر والمـــآثر فى علماء القرن العاشر فمن اراد زيادة على ذلك فليراجعه والله أعلم ·

* * *

خاتمـــــة

وليكن ذلك آخر كتابنا الطبقات الصغرى وآخر كتابنا لواقح الأنوار القدسـية فى مناقب العلماء والصـوفية الى عصرنا هـذا وهـو سـنة ثلاث والف ٠

واعلم يا أخى أننى لم اذكر من الصحابة والتابعين والعلماء العاملين الا من له كلام فى الطريق أو حال ينهض همة الطالب دون ضد ذلك ٠ كما اننى لم أذكر من الصوفية والعلماء الذين ادركتهم الا من كان لى بهم صحبة أو قرات عليهم شيئا من العلوم ، أو اخذ على العهد كما مر بيانه فى هـذا الكتاب وفى مواضع من اثنائه ٠ فما تركت ذكر مناقب من تركت استهانة بحقوقهم وانما ذلك لمـا ذكرناه ٠

وايضاح ذلك ما ذكره الشيخ عبد العزيز الدرينى فى منظومته فى مناقب العلماء ٠ ولك أن الزمان لا يخلوا من وجود مائة الف ولى واربعة وعشرين(١) فأسأل الله ان ينفعنـا ببركاتهم وان يمدنـا بمددهم نحن واخواتنا وان يحشرنا فى زمرتهم وتحت لوائهم ولا يخالف بناعن طريقهم آمين يا رب العالمين ٠

* * *

---

(١) فى الأصل احدى وسـتين وتسعمائة ولكنه ذكر التاريخ الذى ذكرنـاه ٠

الموضـــــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة